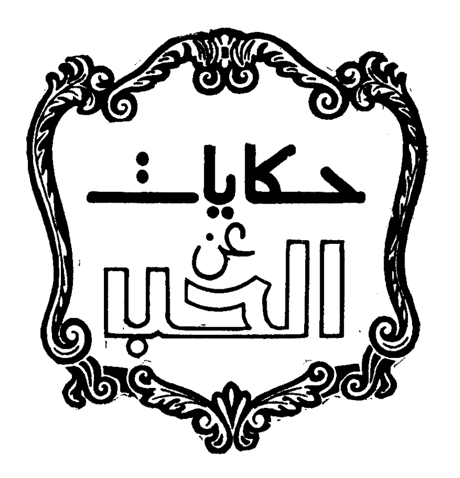
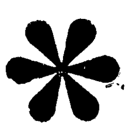

حكايات
عن
الحب



الحب حديث الاجيال المفضل ، وان كان معظم شباب هذا الجيل لايعترفون به · الا انهم لايستطيعون انكار وجوده · فهو شيء مهم فى الحياة له تاريخه ونطـــورات مفهومه · وفى عصرنا يعتبرون الجنس هو الحب أو هـــو التعبير عنه · حتى سمى عصرنا بالعصر الجنسى ·

وسألت : كيف كان التعبير عن الحب فى العصور الماضية ؟ وسألت : ماهو الحب ·· هذا الشيء الذى يجعل لحياتنا معنى عندما نشعر به ·· هذا الشيء الذى يجعل حياتنا غير محتملة · فارغة · يائسة · اذا خرج منها ·

عشت شهورا بين الكتب التى جمعت قصص الحب والتعبير عنه والتعريف به من العصور الماضية الى عصرنا · اعتبرت نفسى فى رحلة ابحث فيهــا عن اجابات أسئلتى · ووجــدت اجابات اكثر من اسئلتى ·

وجدت ألفاظ الحب تظهر حتى فى لغة العلم ·· فقد استعار وصف التجاذب والتنافر المغناطيسيين بعض مصطلحاتهما من قاموس العواطف · مثلا · يشير « جلبير » الى حب الحــديد لحجر المغناطيس · ومن ناحية أخرى وجدت ان دوافع الحب كثيرا ما تقارن بالجذب المغناطيسى فيقول « وليم جيمس » :

« روميو يريد جولييت كما تريد برادة الحديد المغناطيس · وان لم تتدخل عقبات فانه يتحرك تجاهها فى أكثر الخطـوط

استقامة ·· لكن اذا بنى حـــائط بين روميـو وجوليت فلن يقفا فى غباء ضاغطين وجهيهما على جانبى الحائط مثل برادة الحديد اذا ما فصلت عن المغناطيس بحبل » ·

وجدت ان هناك شيئا يجعل كل قصة حب فريدة بنفسها ، لايمكن مقارنتها مقارنة كاملة بغيرها · فهناك اختلاف كبير بين علاقة الامير « اندرو » و « ناتاشا » فى رواية الحـــرب والسلام ·وبين عطيل وديدمونة ،وبين انطونيو وكيلوباترة ·

وجدت ان الصورة العامة للحب الانســانى ليست مقتصرة على الاعمال الشعرية والقصصيةالعظيمة ، لكنها تظهر أيضا فى كتب التـاريخ وتواريخ الحيـاة بنفس الدراما وانواع الحبكة ·· ونفس اتجاهات الاحـداث والمشـكلات ·· فقصص الحب التى رواها « هيرودوت » و « بلوتارخ » التى تتحـــدث عن الشخصيات العظيمة فى التاريخ ، بها نفس الاحساســــات الرقيقة والتضحيات وتسير الى نفس النهايات العاطفية ·

الشعر والتاريخ عبرا عن حقيقة فى الحب انه كثيرا ما ينقلب الى الضد ، الى الكراهية ·· وأحيانا يكون الحب والكراهيـة لنفس الشيء ، وأحيانا يوحى الحب بالكراهية ويكون السبب الغيرة من الاشياء التى تهدده ، الغضب والخوف أيضا يتبعان الحب ، يبدو أن الحب هو العاطفة الاساسية التى تتولد عنها العواطف الآخرى ·

وحقيقة أخرى تظهر فى معظم قصص الحب الكبيرة تشير الى انه لاتوجد سعادة كاملة الا هذه التى يؤكـــدها الحب · ولا يوجد تعاســة ويأس أعظم مـن هذا الذى يصيب المحبين عندما تخيب آمالهم ، فهـل يمكن الوصــول الى السـعادة فى الحب دون آلامه ؟ ·· هل الافضل ان [illegible] ونتعذب على ألا نحب على الاطلاق ؟ ·· هل يضيع العالم [illegible]جل الحب ؟ ·· هذه الأسئلة وجدتها فى مناجاة عشاق قصص الحب الكبيرة ·

يقولون ان الحب الانسانى يتصل بالروح كما يتصـــــل بالجسد · فالرجل يكون كالخنزير اذا كان نهما حيوانيـا ، يكون كالثعلب اذا كان جبانا ، لكن عندما يحب وتســمو به

عاطفة الحب، الى مرتبة التضحية والاخلاص فهو انسان بلا منازع ٠

ويضم سلم الحب الذى ذكره أفلاطون فى مقالته الدورية ، أنواعا كثيرة من الحب ٠٠ وقد قالت له « ديوتيما » التى وصفها سقراط بأنها معلمته فى فن الحب ٠٠ قالت له :

« اذا بدأ الشاب يحب شكلا جميلا فهو سرعان ما يدرك ان جمال شكل ما يشابه جمال شكل آخر ، ويتكشف ان الجمال واحد فى جميع الاشكال ٠٠ ثم يتحقق من أن جمال العقل أكثر رجاحة من جمال الشكل الخارجى ٠٠ وعلى هذا فانه سيتجه الى حب الجمال فى القوانين والنظم ٠ وبعدها سيجد نفسه متجها الى جمال العلوم ٠

وتلخص « ديوتيما » هذا فى أن النظام الحقيقى للحب « يبدأ بمظاهر الجمال على الأرض ثم يرتفع تدريجا ، من الاشكال الجميلة الى التجارب الجميلة ، ومن التجارب الجميلة الى الافكار الجميلة حتى تصل فى النهاية الى فكرة الجمال المطلق »

ويقول سقراط :

« الحب روح كبيرة تحتل منزلة وسطى بين الآلهة والبشر ، فهو ليس خالدا ولا فانيا ٠٠ ليس حكيما ولا جاهلا ٠ ليس خيرا ولا شريرا ٠ ليس جميلا ولا قبيحا ٠٠ هو مرتبة وسط بين الخلود والفناء ، بين الحكمة والجهل ٠٠ بين الخير والشر ، بين الجمال والقبح » ٠

ويقول « بسكال » فى تأملاته :

« ان للقلب ادراكه الذى لا يعرفه العقل ، اننا نشعر هذا من آلاف الاشياء فمن الطبيعى أن يحب القلب الوجود وكذلك يحب نفسه بقدر مايعطى لشىء فانه يمتنع عن آخر، تبعا لارادته، لقد نبذت شيئا واعترفت بالآخر٠٠فهل عن ادراك انك تحب نفسك ؟ »

ونظرية « فرويد » تضع أساس الحب بين الغرائز الجنسية ومن هنا فان أنواع الحب المختلفة بالنسبة له هى ببساطة الاشكال التى يتخذها الحب تحت تأثير الدافع الجنسى ٠٠

ويقول : « ان نواة ما نعنى به الحب تتكون طبيعيا فى الحب الجنسى والاتحاد الجنسى هو هدفها » • ثم يقول « من ناحية حب الذات ومن ناحية أخرى حب الآباء والاطفال والصداقة وحب الانسانية عامة • وكذلك الاخلاص لاشياء معينة أو أفكار معنوية • كل هذه الميول هى تعبير عن نفس النشاط الغريزى • وتختلف هذه عن الحب الجنسى لانه بوعد بينها وبين هدفها • أو انها قد منعت من الوصول اليه بالرغم من انها تحتفظ بطبيعتها الاصلية التى تجعل لها شخصيتها المميزة » •

« وتبعا لذلك فان الحب الجنسى يمر بهذه التغيرات سواء كبت أو صعد • سواء كان طفوليا أو ناضجا فى شكله •

سواء نزل الى مستوى الوحشية الجنسية أو ارتفع الى مستوى التهذيب الخلقى وامتزج بالرقة ••

وجدت ان الحب لا يفرض شروطا ولا ينص على أى تحفظات •• وعندما احب المسيح مريم المجدلية فانه لم يقل لها « لو انك عاهدتنى على الا ترتكبى الخطيئة بعد اليوم لصفحت عنك » •• انما هو قد أحبها أولا فجعلها من بعد عاجزة عن أن تقترف الخطيئه •

وجدت أن الحب الصحيح لابد أن يقوم على التبادل ••

فلابد لحياة الحب من الاخذ والعطاء •• أو المنح المتبادل •• وهو علاقة تنشأ بين شخصين حرين يكمل كل منهما الآخر •• وكل من يشعر انه مستكف بذاته • أو كل من لا يحس فى أعماق نفسه بأى قلق أو حيرة أو توتر لا يمكن أن يشعر بالحاجة الى الحب ، ومعنى هذا أن العجز عن الحب ينبع عن فقر الشخصية ، فمن السهل على المرء حين تكون ميوله محدودة أن يشبعها بكل بساطة دون أن يشعر بأدنى حاجة الى « الآخر » •• وأما حين يشعر الانسان بأن لديه الكثير من الميول التى لم تتحقق بعد ، وحين يحس فى أعماقه بما ينطوى عليه وجوده من نقص فهناك تنشأ الحاجة الى « الآخر » •

ويقول سارتر :

« اننا نشعر قبل الحب بأنه ليس لوجودنا أى سـبب أو مبرر واننا زائدون عن الحاجة . أما بعد الحب فأننا نشعر بأن هذا الوجود قد استرد . ومن هنا فان جوهر « الغبطة » التى نستشعرها حينما يوجد الحب فى هذا الشعور بأنه قد أصبح لوجودنا ما يبرره .

وجدت أن الحب ليس اتحادا واستغراقا . لكنه مشاركة .

و « جبران خليل جبران » يقول بضرورة قيام الحب على الشعور بالاستقلال والحرية الفردية « فلتكن هناك فسحات تفصلكم بعضكم عن بعض فى حياتكم المشتركة .. فليحب أحدكم الآخر لكن لاتقيدوا الحب بالقيود . بل ليكن الحب بحرا متموجا بين شواطىء نفوسكم . »

« لابروبير » يفرق بين الاتجاه الاصلى لكل من الصداقة والحب فيقول : « ان الحب لايبدأ الا بالحب . الصداقة تتوطد بمرور الزمن وتقوى شيئا فشيئا تحت تأثير التعود والمشاركة والتأمل . اما الحب فانه ينشأ على حين فجأة . تحت تأثير الهام مباغت . الحب ينشأ عن الحب . ومهما امتدت الصداقة على طول خط مستقيم فانها لن تتحول الى حب خالص . »

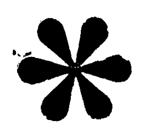
ويقول الدكتور زكريا ابراهيم :

« ليس الحب مجرد متعة جنسية أو مجرد رغبة فى انجاب النسل . بل هو أولا وبالذات خروج من عزلتنا الاليمة . وتحطيم لقوقعة الذاتية وانتصار على الانانية ..

ومهما كتبت فى هذه المقدمة عن الحب فسأمكث سنين اكتب ما قيل فى تعريفه وانتهى الى حقيقة استحالة تفسيره .. وبالرغم من هذه الاستحالة فى التفسير فهناك صور مختلفة وحكايات متعددة عبر العصور عن أجمل شىء فى حياتنا .. الحب .



الحب
عند
قدماء المصريين



كانوا يحترمون عاطفة الحب لانها تؤدى الى بناء اسرة ٠ وكان الاباء ينصحون ابناءهم بالزواج قائلين « ان أحسن شيء فى الوجود هو بيت الانسان الخاص به » وبالرغم من أن معظم الزيجات كانت تتم بواسطة الآباء الا انهم كانوا يخضعون لرغبات أبنائهم وبناتهم للزواج بالذين يختارونهم أويحبونهم فكانوا لايقفون عقبة أمام الحب مهما كان اختيار الابناء ومهما كان الآباء لايوافقون ٠

وتروى احدى القصص أن ابن فرعون مصر هرب من القصر الذى بناه له ابوه فى الصحراء لخوفه عليه من حديث العرافة التى قالت أنه سيقتله كلب أو ثعبان أو تمساح ٠ وجد انه ليس من الحكمه ان يحبسه ابوه وخرج ليرى ماذا يدور فى العالم ٠٠

وعندما وصل الى بلدة من بلاد ناهارينا « العراق » وجد الشبان يجتمعون تحت قصر الملك المبنى فوق صخرة ينتظرون بدء مسابقة ٠ ليجربوا حظهم فى الوصول الى نافذة الاميرة ٠ فقد أعلن الملك أن الشاب الذى سيتسلق الصخرة الى النافذة قبل الآخرين سيتزوج الاميرة ٠

انضم الامير اليهم وبدأت المسابقة • كان أول من وصـل الى نافذة الاميرة • سألوه «من أنت ؟» ، قال انه ابن قائد مصرى وأنه هرب من بيت أبيه الذى تزوج من امرأة اخـرى جعلت حيـاته جحيما ، ولما عرف الملـك بالفـائز ثار وغضب وقال انه لن يسمح لابنته أن تتزوج من هارب من بيت أبيه • لكن الآميرة خفق قلبها وذاب عندما وقعت عيناها على الامير وقالت انها اذا لم تتزوجه فستموت فى الحال • وكان هذا كافيـا ليفسد اعتراض الملك • واستقبل الشاب الغريب واستمع الى قصته باهتمام • وفقد سطوته أمام شخصيته الجذابة واحتضنه ولم يعرف أنه يحتضن ابن فرعون مصر وقبله زوجا لابنتـه وغمره بالهدايا » •

ومن اغانى الحب التى سجلها تاريخ الفراعنـة يتضـح لنا ان الشباب كانوا يتمتعون بقدر كبير من الحرية • كان الحبيب يطلق على حبيبته : اختى • وكانت هى تطلق عليه • أخى •

تقول فتاة لحبيبها :

« يا الهى • يا أخى • جميل ان أذهب الى المياه واستحم فى وجودك حتى استطيع ان أجعلك ترى جمال جسـدى عندما يبتل ردائى • سأنزل معك الى المياه وأخرج لك سمكة حمراء ترقد جميلة فوق أصابعى • تعال •• وانظر الى » •

ويقول الشاب :

« حب أختى فى مكان مرهوق ، المياه بيننا • وتمساح ينتظر على الشاطىء لكن عندما أنزل الى المياه يتشجع قلبى • وأسير فوقها كأنى أسير فوق أرض صلبة • حبها يجعلنى شجاعا • قويا »

« عنـدما أرى أختى مقبله • يفرح قلبى ، فتنفرد ذراعاى لتحتضناها ، ويفرح قلبى ، اذا احتضنتها وذراعاها مفرودتان فهما مفرودتان لى • اذا قبلتها وشفـتاها منفرجتان • فأنا نشوان بلا خمر • »

ويتغنى شاب مريض :

« مرت سبعة أيام ولم أر أختى ٠٠ اعترانى الضعف ولا اقوى على حمل جسدى ٠ أعظم الاطباء لن يشفينى ٠ والسحر لن ينفعنى ٠ فلا أحد يستطيع ان يعرف مرضى ٠ أختى هى أنفعلى من اى دواء واقيممن كل الكتب ٠ اذا زارتنىفسأشفى ، عندما اراها سأسترد صحتى ٠ عندما تتحدث ستعود قوتى ٠ أجعلونى أقبلها لاشفى من مرضى ٠٠ لكنها لم ترنى منذ سبعة أيام » ٠

وشاب آخر يتظاهر بالمرض لتزوره حبيبته :

« سأمكث فى فراشى واتظاهر بالمرض ٠ سيحضر الجيران ليزورونى وبينهم اختى ٠ وستضحك من الاطباء لأنها تعلم سبب مرضى »

وكانت الفتاة ايضا يحرك عواطفها منظر الشاب الوسيم

« صوت اخى حرك قلبى ٠ بالرغم من انه يسكن قريبا من منزل امى لا استطيع ان اذهب اليه ٠ يكون جميلا من امى ان تفعل هذا عنى ٠ اذا كان يرسل رسالة لأمى ٠٠ يا اخى ٠ لقد وهبت لك نفسى ٠ تعال الى حتىاستطيع ان ارى جمالك ٠ سيفرح ابى واخى ٠ كل الرجال سيفرحون وسيندون ٠ اخى ٠ »

ومن اغنيات الحب وجدت انهمقترن ببهجة الطبيعة وتفتحها بالاشجار والازهار والمياه ٠ وقد شبهتفتاة نفسها بحديقة٠

« انا لك مثل حديقة ٠ زرعت فيها ازهار جميلة واعشاب رائحتها حلوة ٠ جميل المكان الذى اسير فيه ويدى فى يدك٠ فالسعادة تغمر قلبى لاننا نسير معا٠جميل ان اسمع صوتك٠ فانا اعيش لاسمعه ٠٠ فهو لى أهم من الطعام والشراب ٠ »

وكانت العلاقة بين الزوج وزوجته مخلصة فى اكثر الزيجات وفى كتاب الحكم القديم الذى الفه الـوزير « بتـــاح حتب » يقول :

« ان الرجل يكون حكيما عندما يؤسس لنفسه بيتا ويحب زوجته » ٠

واعترافات أرمل تعطى لنا صـــورة واضـــحة للحياة الزوجية ٠ فقد اعتراه المرض بعد موت زوجتـــه (عنخيرى) ويبدو ان احد الكهنة قال له أن زوجته هى التى ارسلت عليه هذا الشقاء فكتب خطابا الى روح زوجته ووضعه فى مقبرتهـا لكى يستعطفها ٠

يقول فى الخطاب :

« ماذا فعلته بك حتى تضعى يدك على من غير ان اكون قد فعلت بك سوءا عندما كنت زوجا لك وحتى اليوم ٠ سارفع امرى معك واقاضيك بكلمات فمى امام الالهة التســعة الذين فى الغرب ، وسيحكمون بينى وبينك عن طريق هذا الخطاب ٠ ماذا فعلته بك ؟

لم اتخل عنك ولم ادخل على قلبك همـا ٠ ولكن انظرى ها انت ذى لا تتركيننى سعيدا ٠ سأطلب الانصـــاف منك ويجب عليهم ان يفصلوا بين الظلم والعدل ٠ عنـــدما كنت أرأس ضباط جيش فرعون وجنود العربات جعلتهم يحضرون ويسجدون أمامك وقد جلبوا لك انواعا واشكالا من الاشياء الجميلة لكى يضعوها بين يديك ٠ ولم أخف عنك شيئا طوال حياتك ٠ ولم يعثر قط على انى فعلت بك سوءا بحيث اننى كخائن للزوجية قد دخلت منزلا آخر ٠

وعندما مرضت بهذا المرض استحضرت لك كبير الاطباء ٠ وصنع لك الدواء وقام بعمل كل ما طلبته منه ٠ وعندما وجب

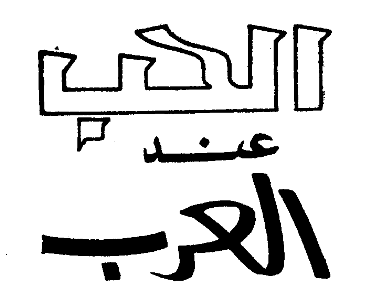
على ان ارحل الى الجنوب فى رفقة فرعون كنت بافكارى عندك ٠
وقضيت الثمانيةشهور دون ان آكل أو اشرب ٠٠ وعندماعدت
الى ممفيس استاذنت فرعون وحضرت اليك ٠ وبكيت كثيرا مع
اهلى امام منزلى ٠ واعطيت ملابس واقمشة لكى تلفى فيها ٠
وجهزت ملابس كثيرة ٠ ولم ادع شيئا حسنا الا فعلته لك ٠

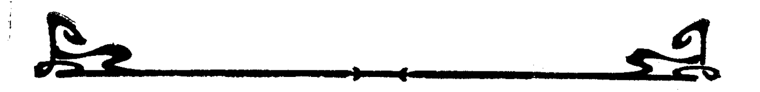
انظرى لقد أمضيت حتى الآن ثلاث سنوات سكنتها وحيدا ٠
ولم ادخل فيها منزلا ما ٠ لأنه لا يليق بشخص مثلى ان يفعل
ذلك ٠ انك لاتميزين بين الطيب والخبيث ٠ ولكن سيفصل
بينى وبينك ٠ اما فيما يختص بالاخوات فى المنزل واحوالهن ٠
فانى لم اذهب الى اية واحدة منهن »

هكذا كان امر الحب عند قدماء المصريين ٠ وننتقل الى لون
آخر من الحب ، لون يصاحبه الحزن والالم ٠ هذا اللون هـو
الحب الذى كتب عليه الحرمان اذا افتضح ٠






الحب
عند
العرب



*

كانت أول قصة حب فى البادية الاســـلامية قصة « عفراء وعروة » ومنها عرف الحب العـــذرى وكانت أول دمعة من دموع الحب العذرى . جاء بعدهما مجنون ليلى وكثير « عزه » و « جميل » صاحب « بثينة » . و الحب العذرى عرفه العرب بعد الاسلام وكان تطورا للحب العفيف الذى سبق أن عرفته الجزيرة العربية فى الجاهلية وكان حب عنترة لعبله نموذجا من نماذجه .

وتبدأ قصة « عفراء وعروة » منذ كانا طفلين .

يذهبان كل صباح بالاغنام الى المرعى فقد جمعتهما ألفـــة الاطفال البريئة . وشعرا بشىء اكثر من هذه الالفة يربطهما فى رحلة الصبا .. نمت عاطفة الحب معهما ولم يدركا معناها فأصبحا لا يختلطان ببقية الصبيه فى المرعى .. كل منهما أحب صحبة الآخر وحديثه .

وفى يوم طال بهما الحديث الى ما بعد الغروب وعادا بعـد كل الصبية . وكانت هند أم عفراء تنتظرهما بجانب باب البيت يملؤها الغضب . نظرت اليهما . الطفل أصبح شابا والبنت اصبحت شابه . ورأت بينهما ماخافت منه يومـــا . كانت تخاف ان تحدث بينهما ألفة . كانت لاتريد أن ترتبط ابنتها بابن الذى حرمت من الارتباط به يوما .

كانت تحب أباه وكان يحبها . لكنه كان كثير الرحـــلات

والمغامرة . وفى احدى رحلاته غاب شهورا وعرفوا من احدى القوافل انه مات . وتقدم أخوه اليها . وبعد الزواج عاد الحبيب من رحلته .. لم يمت .. وملأ الحزن قلبها وحل محله الحقد عندما تزوج من منافستها فى حبه . لكنه لم ينقطع عن الرحلات والمغامرة الى ان انتهت حياته فى واحدة منها . وابنه عروة كان طفلا . تزوجت أرملته من رجل فى حى قريب وانتقل الطفل الى بيت عمه . وعلى العكس . لم تحبه هند كجزء من حبيبها الراحل . كرهته وقررت ألا ترتبط ابنتها به .. وعندها من الحجج ما يؤيدها . هو لايملك شيئا ليدفعه مهرا . هو ينظم الشعر ، لقد لاحظت هذا يوما .. والشعراء يتبعهم الغاوون ويركبهم الشيطان ..

ومنـــذ ذلك اليـوم الذى تأخرا فيــه معا قررت الام منع ابنتها من الخروج الى المرعى . ومع ذلك لم يهدأ قلقها .كانت ترى فرحة ابنتها عندما يعود الى البيت . وكانت ترى هذا الشىء الذى خافت منه يظهر فى نظراتهما وحديثهما . فأجبرت زوجها ان يطلب من عروة الاستقلال بحياته . لقد أصبح رجلا .. ورضخ الزوج مضطرا . وعندما سأله عروة أن يزورهم .. فهم ما يحمله من حب ووعد ان تكون عفراء له .

بدأ الفراق .. وبدأ عروة يقول الشعر فى حبيبتـــه .. وعندما التقيا ذات ليلة بعيدا عن العيون وقال لها شعره .. سألته ألا يشهرها .. فوعدها بذلك .. فهو كان لايجهـــل مصير من أشهروا حبهم فى أشعارهم .

وتقدم الكثيرون من شبان الحى لخطبـة الجميلـة عفراء .. وكان الاب يرفض لوعده . لكن كيف ينفذ عروة هـذا الوعد وهو لايملك شيئا .. والام طلبت مهرا لابنتهـــا مائة ناقة لتعجيزه .. وهل للمحب أن يعجز !

فكر عروة فى قريب له غنى .. كان قد سمع عن شهامته وكرمه .. كان يسكن بلاد الشام . وأخبر عمه أنه سيرحل ليحضر المهر ووعده ان ينتظره .

سافر عروة .. وجاء الى الحى رجل من أغنياء الشام .. فقرر ان ينزل البادية لبعض الوقت ليتزود من أهلها قـــوة المنطق وفصاحة اللسان . نصب خيامه واقام الولائم لرجال الحى

.. وانتشرت جواريه بين النساء يتعرفن عليهن . أخبرت واحدة منهن سيدها بجمال عفراء فذهب لزيارة أبيها وتقدم لخطبتها . واعتـــذر الاب . أخبره بخطبتها لابن عمها وما بينهما من ألفة .

الثرى لم ييأس . عرف من أهل الحى بسيطرة الزوجة . فارسل اليها جارية حدثتها عن رغبته وعن المهر الذى سيدفعه. وأغدق عليها الهدايا . فأجبرت الأب على قبـــوله ، وحزنت عفراء ، ورحلت مع زوجها بحزنها ودموعها .

وعاد عروة .. لم يشعر بصعاب الطريق التى واجهته فى ذهابه الى قريبه فى الشام .. كان قلبه يحمل الفرح والآمل فقد عاد بالمائة ناقة .. مهـــر حبيبته التى تنتظره . لقد أكرمه الشيخ وأعطاه طلبه عندما شعر بصدق حبه . عـــاد عروة وهو لايدرى ماذا كان ينتظره .

عمه..اتفق مع أهل الحى على ان يقولوا له أن حبيبته ماتت، وبنى قبرا فارغاً قاده اليه وهـو يبكى ويصرخ . وصـدق عروة اللعبة وبقى مجنونا بجانب القبر أياماً يبكى .. لايأكل ولا يشرب .. حتى رثت لحاله جارية فأخبرته بالحقيقة .. ورحل مرة اخرى الى الشام ليبحث عن حبيبته .

اتخذ اسما غير اسمه .. وذهب الى القصر الذى كـــانت تسكنه .. وسأل عن مأوى لمسافر .. رحب به الزوج واعجب بأخلاقه . وزاد اعجابه عندما أنشده شعره . واكتشفت عفراء وجوده .. فقالت لزوجها ان ضيفه هو ابن عمها عروة .. وراد ترحيب الزوج به وناداه ليسلم على قريبتــه . كتمت عفراء عواطفها . ووقع عروة على الارض مغشيا عليه .

قال الزوج فى ذهول عندما أفاق عروة :

« والله ما كنت أعلم ان ما بينكما قد وصل الى هذا الحد . فاجلس اليها وتحدث .. وان اعزازى لها ليحول بينى وبين اغضابها ، وثقتى فىعفتك وصدق شعورك لتحول بينى وبين القسوة عليك . فالدار دارك . وأقم فيهـــا بيننا .. واننى واياها لصاحب لك وصديق » .

مرت أيام كان فيها عروة يجلس مع عفراء يتبادلان الحديث ومعهما جارية والزوج كان يرعاه ويلعن كل من يعترض على

وجوده ، وكأنه كان يشعر بذنب اراد التكفير عنه ٠ لـــكن عروة ايقن ان وجوده بجانب حبيبته على ذلك الوضع زاده ألما٠ فرحل ٠ ذهب الى امه ٠ وكان قد توفى زوجها ٠ بكت عندما رأته على تلك الحالة من الهزال والجنون والمرض ٠ وحاولت أن تشفيه ، لكن لم ينفعه طب العرافين ولا سحر السحرة ٠٠ وكلما مر أحد وسأل : من المريض ؟ قالوا «هو عروة بن حزام قتيل الغرام » وظل على حالته الى ان مات ٠

وكانت قافلة تمر ببيت عروة فى طريقها الى الشـــام ٠ فعرف رجالها قصته وموته ٠٠ فذهب جماعـة منهم الى دار عفراء وهتفوا :

ألا أيها الدار المغفل أهلها

اليكم نعينـاً عـروة بن حزام

ولما سمعت عفراء الخبر ملأت الـدار صراخا وقالت لزوجها أنها تريد ان تقيم مأتما لابن عمها الذى مات بسببها ٠ وكان ما ارادت وبقيت تبكيه حتى ماتت بعد المأتم بأربعة أيام ٠

٠ ٠ ٠

وبالرغم مما ظهر فى قصة عـروة وعفـراء أن الحرمـان لم يكن أولا بسبب قوله الشعر فيها لكن بسبب حقد أم عفراء ولعـــدم امكانياته المادية ٠٠ كما قالت هند فى حوار مع زوجها : « انه شهر بابنتنا فى شعره وقد عرف أمرهما كل سكان الحى ٠ وان كانوا جميعهم أهلا لنا أو شبه أهل ٠ على أن التشهير بالشعر ليس هو كل شىء ٠ وانما الذى يعنينى انه معدم واننى لا استريح اليه »

نجد فى قصة « جميل بثينة » ان السـبب الرئيسى فى حرمانه من حبيبته هو قوله الشعر فيها أو أنه قد شهر بها ٠ وقد كتب عباس العقاد فى تحليله لقصتهما « ربمـــا كان تحريمهم زواج الفتاة بمن ينظم فيها الغزل ضربا من ازدراء الشعراء كما كان ضربا من حماية العرض » ٠

وجميل كان على عكس عروة ٠ كان ثريا وعلى قدر كبير من العناد والخيلاء حتى انه كان يستعظم أن يجترىء عليه أحد

بمناداته باسمه فى الطريق · وقالوا أنه من خيلائه لم يستر حمقه · وقد باح بحبه لبثينة فى حمق اذ قال :

لا لا أبوح بحب بثنـــة انهــا
أخــذت على مواثقــا وعهــودا

واذا كان الحب العذرى بعيدا عن الجسد ونزواته الا أن أخبارا جاءت فى قصة جميل بثينة تقول أنه كان يبيت عندها وقد صرحت قصائده بالعناق والتقبيل ·

تجود علينا بالحديث وتارة
تجود علينا بالرضاب من الثغر

وقيل عن حادثة : « انه فى ليلة بقيا يتحدثان جنبا الى جنب فذهب بهما النوم حتى أصبحا · وجاءها غلام زوجها بصبوح من اللبن بعث به اليها فرأى جميلا بجوارها نائما ·· فمضى حتى أخبر ســـيده ورأته أخت بثينة وقد عرفت خبر جميل تلك الليلة · فذهبت تحذر أختها · وصاحت بثينة بجميل أن ينجو بنفسه لانها تخاف الفضـــيحة · وأمرته أن يختبىء ففعل كارها · ونامت أختها الى جانبها ، واقبل الزوج ومعه أخوها وأبوها ولما كشفوا الغطاء وجدوا أختها فخجل الزوج وأنبته اختها » ·

وقد سخر أهل الحى من غرام جميل بامرأة متزوجة · وأصدر السلطان أمرا باهدار دم جميل ان وجده أحد فى زيارة بثينة ، فرحل مرة الى اليمن ومرة الى الشام · وبحث عن خـــلاص من حبه فلم يجد أفضـــل من الرحيل الى مصر حيث مات ·

وبالرغم من ان طابع الحب عند العرب كان الحزن ونتيجته الحرمان ، الا ان أول التقاء الشرق بالغرب كان عن طريقه ، فالعرب كانوا أول من كتب عن الحب فى إسبانيا ·



الحب
والعرب
فى أسبانيا

*

منذ فجر تاريخ الاسبان ظهرت المشكلة الاسبانية الصميمة بين الحب والشرف · لكن أول من كتب عن الحب فى اسبانيا كان العرب · فكان أول التقـــاء الشرق بالغــرب عن طريق الحب لاعن طريق الحكم · وأهم من كتبوا عنه الشاعر السياسى والفقيه الأندلسى « ابن حزم »

وقد تربى « ابن حزم » فى أحد قصور مدينة « قرطبة » · فأبوه كان وزيرا · تفتحت عيناه على جميلات الحريم وكانت احب أوقاته بينهن ، وهن اللائى بثثن فيه حب الشعر والثقافة ·

ومن بين جميلات حريم القصر خفق قلبه لجارية صغيرة شقراء ، وكان فى مطلع شبابه · كان حبا متبادلا متكـــاملا روحيا وجسديا · لكن القدر فرقهما · ماتت صغيرة وكان لم يتجاوز العشرين من عمره · وبقى سبعة أشهر لايخلـــع ملابسه ولا تتوقف دموعه · وقال انه لم يعرف سعادة حقيقية بعد موتها ·

لكن حياة الشاعر لم تخل بعدها من الحب ولا من تقلبات السياسة · وقد أصابه فى هذه التقلبات النفى · وفى منفاه

كتب رسالته المشهورة عن الحب « طوق الحمامة » وقسمها الى ثلاثين بابا · بدأها بتعريف الحب وختمها بالحض على طاعة الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ·

يبدأ ابن حزم رسالته بتعريف الحب فيقول :

« الحب أوله هزل وآخره جد ، وهو لا يوصف بل لابد من معاناته حتى تعرفه · والدين لا ينكره · والشريعة لا تمنعه · إذ القلوب بيد الله عز وجل ، وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير ·· »

لم يعتقد ابن حزم فى الحب من أول نظرة واستنكره :

« وما لصق بأحشائى حب قط الا مع الزمن الطويل · وبعد ملازمة الشخص لى دهراً طويلا وأخذى معه فى كل جد وهزل ·· كما أن اسرع الاشياء نموا أسرعها فناء وأبطؤها نفاذا · كذلك من أحب من نظرة واحدة انما يبرهن على انه قليل الصبر سريع الهجر · »

وقبل أن تظهر شخصية « دون جوان » المشهورة فى أسبانياظهرت شخصية دون‌جوانيه عربيةكتب عنها ابن‌حزم‌فى رسالته ، هى شخصية (أبو عامر) وقد سماه الملول وهو ليس بالمحب فالملول تحكمه الشهوة واللهو وقد وصفه فقال :

« لقد كان أبو عامر يرى الجارية فلا يصبر عنها · ويحيق به من الاغتمام والهم ما يكاد أن يأتى عليه حتى يملكها ولو حال دون ذلك شوك القتاد · فاذا أيقن بتصييرها اليه عادت المحبة نفارا · وذلك الأنس شرودا · والقلق اليها قلقا منها · ونزاعه نحوها نزاعا عنها فيبيعها بأوكس الاثمان · هذا كان دأبه حتى أتلف من عشرات ألوف‌الدنانير عددا عظيما · وكان

مع هذا من أهل الادب والحذق والنبل والذكاء والحلاوة والتوقد. مع الشرف العظيم والمنصب الفخم ، والجاه العريض · وأما حسن وجهه وكمال صورته فشيء تقف الحدود عنه ·· ولقد كانت الشوارع تخلو من السيارة يتعمدون الخطور على باب داره · لا لشيء الا للنظر منه · ولقد مات من محبته جوار كن علقن أوهامهن به · ورثين له فخانهن مما أملنه منه · فصرن رهائن البلى وقتلتهن الوحدة »

ويتحدث ابن حزم أحيانا عن الحب متأثرا بوضعه كسياسي وابن وزير فيقول :

« لقد وطئت بساط الخلفاء وشاهدت محاضر الملوك فما رأيت هيبة تعدل هيبة محب لمحبوبه · ورأيت تمكن المتغلبين على الرؤساء وتحكم الوزراء وانبســـاط مدبرى الدول · فما رأيت أشد تبجحا ولا أعظم سرورا بما هو فيه من محب أيقن ان قلب محبوبه عنده ووثق بميله اليه وصحة مودته له ·· وحضرت مقام المعتذرين بين الســـلاطين ومواقف المتهمين بعظيم الذنوب مع المتمردين الطاغين ، فما رأيت أذل من موقف محب هيمان بين يدى محبوب غضبان · »

ويقول ان المحبين اذا تأكدت بينهما المحبة تأكدا شديدا كثر تضادهما فى القول تعمدا ، وخروج بعضهما على بعض فى كل يسير من الامور ، وتتبع كل منهما لفظة تقع من صاحبه وتأولها على غير معناها ، وهذا أصل العتاب بين المحبين ·

وخلاف المحبين يتميز عن غيرهم · اننا بينما نرى المحبين قد بلغا الغاية من الاختلاف · لانلبث أن نراهما قد عادا الى أجمل الصحبة ·وانصرفا فى ذلك الحين بعينه الى المضاحكة والمداعبة · هكذا فى الوقت الواحد مرارا · واذا رأيت هذا

بين اثنين فلا يخالجك شك فى ان بينهمـــا سرا فى الحب دفينا ٠

ويقول ابن حزم عن علامات الحب : أولها ادمان النظر ٠ ومنها الاسراع نحو المكان الذى يكون فيـه المحبـوب وترك الاعمال التى تضطره للبعد عنه ٠ ومنها روعة تبدو عـــلى المحب عند رؤية من يحب فجأة وطلوعه بغتة ٠ ومن علاماته وشواهده الظاهرة لكل ذى بصر ، الانبساط الكثير الزائد والمجاذبة على الشىء يأخذه أحدهما ٠ وكثرة الغمز الخفى ٠ وتعمد لمس اليد عند المحـادثة ولمس مـا أمكن من الاعضـاء الظاهرة ٠ وشرب فضلة ما أبقى المحبوب فى الاناء ٠

وشرح لغة العيون الاسبانية المشهورة :

« الاشارة بمؤخر العين الواحدة نهى عن الامـر ، وتفتيرها اعلام بالقبول ٠ وادامة نظرها دليل على التوجع والأسف ٠ وكسر نظرها آية الفرح ٠٠ فالعين تنوب عن الرسل ويدرك بها المراد »

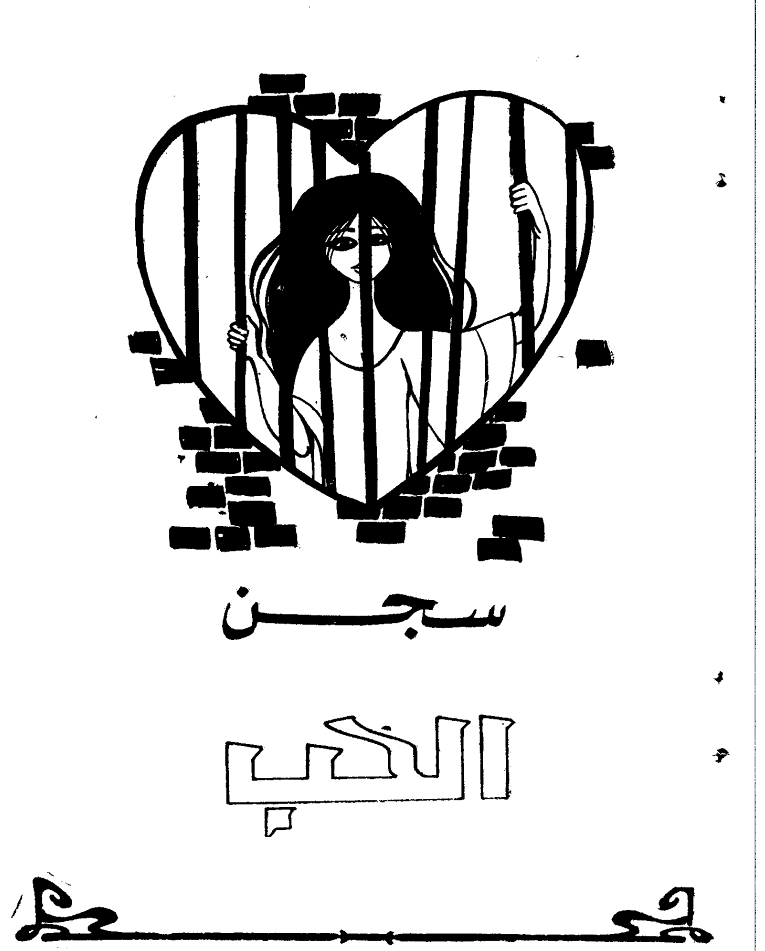
ولاينسى ابن حزم شقراء القصر التى احبها فى مطلـــع شبابه حتى يقول ان من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها ٠ ولما أحب شقراء الشعر فما استحسن من ذلك الوقت سوداء الشعر ولو كانت أجمل من فى الدنيا ٠

٠ ٠ ٠

ظل الحب فى أسبانيا متأثرا بالطـابع الشرقى بعد حكم العرب حتى عندما انتقل من الأندلس الى باقى أوربا كان الطابع الاسلامى يميزه ٠ أما فى الجزء الشمالى الغربى من أسبانيا فقد كان الحب يختلف عن بقية شبه الجزيرة ٠ فلم تكن هناك آثار عربية ، وكان يسمح للنساء آن ينشدن بلا تحفظ عن آلام فراق

من يحبون، الذين كانوا يغيبون فى أعالى البحار • وكانت الحبيبة تبكى على شاطىء البحر وتوقف العائدين لتسألهم عن حبيبها الغائب • أما الشعر فكان خاليا من وصـــف الفتاة الجارية والقصور والملكات • ومن أغانى الحب يظهر مكان التقاء المحبين، فى الغابات أوبجوار البحيرات حيث تذهب الفتيات للاستحمام• ودائما فى خلفية الصورة تظهر الام التى تبحث عن ابنتها أو سبب تأخيرها • واذا قابلتها فى الطريق تقول الفتاة لأمها انها كانت مختبئه من ثور قابلته فى الطريق •• وتجرها الأم الى البيت غير مصدقة حكاية الثور فهى تعرف تمـاما من الذى كانت مختبئة معه •





سجن

الحب

خطاب العاشق الأسبانى كان مثل قصيدة غزل العاشق العربى · كلاهما اعتبر تشهيرا بالحبيبة · وقد ذهب كثير من العشاق ضحايا الخطابات الغرامية فى العصور الوسطى · وكان أشهرهم شاعرا وفارسا اسمه «ماسياس» فقد قتله زوج حبيبته عندما وجد عندها خطابات وقصائد حب بتوقيعه · بالرغم من أنه كان يعرف أن علاقته بها لم تتعد تلك الخطابات · فكان (ماسياس) يحب حبا افلاطونيا ، ومازال فى أسبانيا مثل يقول (أن تكون أكثر حبا من ماسياس) ·

وأول قصة عاطفية فى أسبانيا ذكرت تبادل الخطابات كانت قصة (سجن الحب) وفيها :

« سجنوا الجميلة فى قلعة ليبعدوها عن الحب · لكن حبيبها لم ييأس واستطاع أن يرسل لها خطابات مع يد أمينة · وظلت الصلة بينهما زمنا عن طريق الخطابات · الى أن استطاع انقاذها من سجنها · لكن الحبيبة المتكبرة اتهمت حبيبها المخلص بأنه قد أساء الى شرفها بكتابته لها خطابات عاطفية ساخنة · فأضرب عن الطعام ولم يعدل عن قراره المميت الا عندما بدأ ابن عمه فى

كتابة كتيب يهاجم فيه النساء • قسمه الى خمسة عشر بنـدا وعشرين سببا • ومع ذلك لم يستطع الحبيب أن ينسى حبـه فقطع خطابات حبيبته قطعا صغيرة وضـــعها فى كأس نبيذ وشربها فمات»

ولم تكن كل القصص العاطفية الاولى فى أسبانيا أفلاطونية ففى قصة اخرى فى الحب والموت كانت نهاية العاشـــقين محزنة • فبعد ان أمضى العاشق ليلة لقاء عاطفية ملتهبة فى مخدع حبيبته زلت قدمه وهو ينزل من شرفتها فوقع على أرض الحديقة وتهشمت رأسه فمات فى الحال • وصرخ خادمه (وكان دائما فى مثل هذا اللقاء يصحب الحبيب خادمه الخـــاص ليراقب الطريق وينبهه الى أى خطر •)

صرخ الخادم (الرحمة • الرحمة • سيدتى ساعدينى فى جمع أشلاء رأس سيدى • ياللسيد التعوس • ياليوم المنحوس • ياللنهاية المفجعة) ولما سمعت الحبيبة هذا الصراخ ورأت المأساة انتحرت • لقد فقدت حبيبها وشرفها • وتركت خطابا لأبيها تعتذر له •

فى ذلك الوقت كتب الكثيرون عن الحب وأكثرهم من رجال الدين •• بعضهم كان يحذر من تلك العاطفة •

ومن هؤلاء (قمص تالافيرا) فقد قال ان الحب كثيرا مايؤدى الى نهايات تعسة • وقد كتب يحذر منه :

« اذاجاءت فكرة الخطيئة الى رأسك فاذهب الى صـــديق أو جار وتحدث معه فى موضوعات أخرى تبعد عن أفـكارك الاغراء • واذا كنت فى فراشك فاقفز منه وضع ماء باردا على جسدك • وصل • ولا تنظر الى النساء حتى لاتأتى صـــورة حبيبتك فى مخيلتك» • وفى بعض تحذيراته سخرية فيقول

« لتكون عاشقا لابد أن تكون غنيا ليس فقط لضرورة اعطاء الهدايا كرمز للحب لكن لرشوة المتطفلين من الجيران ٠واغلاق العيون التى ترى كثيرا والاذان التى تسمع كثيرا ٠ ولتكـون عاشقا لابد ان تتمتع بحيوية جسدية ٠ فالرجل(الفاتر)لايصلح للحب ٠ فهو كسول وجبان ، والذى يريد أن يكون عاشقا لابد أن يكون سريع الحركة كريما لطيفا وحذرا ٠ فكيف يحب رجل فاتر ويكون محبوبا ؟ فهو حينما يخرج من بيته لزيارة حبيبته فى المساء ويجد السماء تمطر يتراجع ويفكر : هل يذهب أم لا ٠٠ اذا ذهب ربما يبتل أو يقع فى الطين وتتسخ ملابسه أو ربما يقابله البوليس فيأخذ سيفه ٠ واذا تغلب على تردده وذهب يخاف أن يتسلق الحائط الى شرفة حبيبته فاذا سمع أى حركة فى الحديقة ينزعج ٠ حتى وان قالت له حبيبته انها كانت قطة سيعود الى بيته وهو يقول ان شعر رأسه وقف ٠»

ويحذر القمص من عيون المرأة الاسبانية ٠ «فيها قـوة ٠ بنظرة تهزأ من رجل ٠ بنظرة تحدثه٠ بنظرة تجعله يقـع فى حبها ٠ وبنظرة يمكن أن تقتله ٠ »

وبالرغم من أن معظم تحذيرات القمص كانت للرجـال الا انه حذر أيضا النساء من الخطيئة وقال انهن اذا أخطأن مرة واحدة يخسرن حياتهن ٠

أما (قمص هيتا) فقد كان يعضـــد الحب ، وقـــد ألف كتابا عن (الحب الطيب) ميز فيه بين نوعين من الحب ٠ الحب الحقيقى وهو حب الله ٠ والحب المجنون وهو حب النساء ، وقال ان الحب الاخير يشيع البهجة حتى وان كانت نهايته فاشلة ٠

« فالنساء مخلوقات لذيذات بالرغم مما قيل ضدهن ٠ واذا كان الله عندما خلق الرجل اعتقد ان المرأة شيطان ما كان جعلها شريكته فى الحياة »

ويقول «المحب لابد ان يكون نظيفا ومتواضعا مثل الحمامة ٠ رقيقا ومعتدا بنفسه مثل الطاووس، لابد أن يكون حذرا٠لكن لايصح أن يكون قاسيا أو حزينا ٠ »

« اذا اعتنيت بالحب ورعيته يزداد » « ولا تنس أن تتنهد قليلا ٠٠ ولا تتحدث كثيرا حتى لاتظن حبيبتك انك كاذب ولا تتردد في استعمال القوة أحيانا فالخوف يمنع المرأة من اشباع رغباتك » ٠

وقد كتب الراهب (انطونيو دى جويفارا) خطابات عائلية موجهة الى عدد كبير من المحبين خاصة الكبار فيالسنوالصغار في السن ٠ وقد كتبها بروح الناصح الذى يعرف الكثير عن الناس ٠ وقال الراهب :

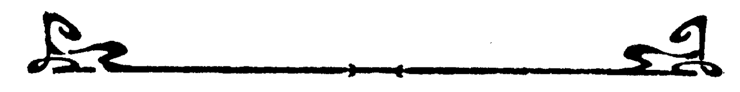
« من الصعب معرفة أى شيء عن الحب ٠ الحرف يمكن أن تتعلم ٠ والعلوم يمكن أنتدرس، الا الحب ٠ حتى سليمانلم يعرف كيف يكتب عنه ٠ ولا هيلين الطروادية حكته ٠ **ولا** كليوباتره تعلمته ٠ كل مايعرفه الانسان عن الحب يأتيمباشرة من مدرسة القلب ٠ وادراكنا هو مرشدنا والحب الحقيقى هو الذى يسمح له بالنمو التدريجى فى القلب ٠»

وينصح الراهب بعدم الزواج المبكر فقد رأى زيجاتكثيرة فاشلة نتيجة له ٠ وينصح الزوج ألا يكون قاسيا خصوصا فى أول زواج ٠

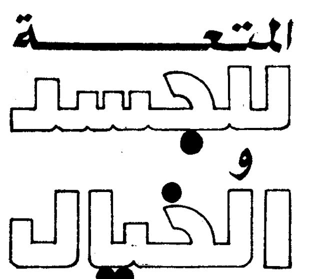
« الزوج العاقل هو الذى يعرف كيف يطرى ويعطى الهدايا لايصح أن يكون شديد الغيرة وهذا لايمنع انه أحيانا يجد من الضرورى أن يغلق الباب علىزوجته أو يجذبها بعيدا عنالنافذة ويمنعها من الخروج أو استقبال الصحبة السيئة لكن هذا كله لابد أن يفعله بحرص شديد فالنساء راغبات فى الشيء الممنوع وهن مخلوقات متقلبات ٠ »

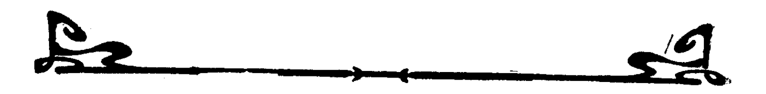
وقد حمل القرن السابع عشر الى أسـبانيا المتناقضات ٠ فكانت المبالغة فى الفسق والمادية تقابلها المبالغة فى الروحانية والخيال ٠ ويمثل النقيضين شخصيتان اشتهرتا منـذ ذلك العصر :

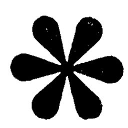
شخصية (دون جوان) الذى سخر من كل القيم والنساء، وشخصية (دون كيشوت) الذى عاش فى الخيالات والمثـل العليا ٠






المتعة
للجسد
و
الخيال





« دون جوان » شخصية خيالية اقتبسها «ترسو دي مولينا» من الادب الشعبي وجعلها شخصية أدبية في رواية « فاجـر اشبيلية » . وقد جعل الشخصية تتميز بالجاذبية والحيوية المتدفقة .. والشجاعة المغرورة وأكسبها أيضا الروح المرحة . وجعل نشأة دون جوان في بيت محطم .. فلم يعرف الاالقليل عن الحب .. وصوره ساخرا من كل القيم . وفي قمة فجوره اعتدى على فتاة من عائلة نبيلة وقتل أباها عندما حاول الانتقام .. وفي يوم رأى تمثالا للأب فوق قبره . فانحنى له باستهتار ودعاه ليتناول العشاء معه . وقد ذهب اليه التمثال «شبحا» في الموعد المحدد .. وكان نذيرا بالموت . هذه الحادثة جعلت أعـداء دون جوان يطاردونه الى ان تحطـم وتخلصـوا من فجوره .

ورواية « ترسو » جعلت شخصية دون جوان عالمية تقف بجانب شخصيات دون كيشوت .. وهاملت ، وفاوسـت .

ومحتمل أن يكون نموذج دون جوان قد اشتق من شـخصية حقيقية وهي شخصية «دون ميجيل» وكان فارسـا بارعا في

المبارزة وعربيدا . عاش فى مدينة «اشبيليه» فى ذلك الوقت وكانت له كلصفات الجاذبية التى وصفها «ترسو»..وقيل أن حياته قد تحولت من الفجور الى الاعمـال الخيرية بعـد حادثة وقعت له: كان عائدا الى بيته بعد ليلة من لياليه الفاجرة وقابل جنازة تسير فى الطريق المظلم وحملة مشاعل يسيرون بجانبها. ولما سأل أحد المشيعين عن الميت أخذه الى النعش وفتح غطاءه فوجد وجهه .. كانت جنازته .لقد ضـاق من فجـوره أهل اشبيليه فدبروا له هذا الانتقام .. صـنعوا قنـاعا لوجهـه ووضعوه على وجه ميت .. فاهتزت مشاعره وتحولت حياته الى الاعمال الخيرية بعد تلك الليلة ..

وقيل عن دون جوان آخر ولد فى الاندلس وهى المكان الذى تغنى بالحب اكثر من أى مكان آخر فى أسبانيا .. البلد التى حولت العواطف الى نغمات . كان دون جوان هذه الجهة عـلى علاقة غراميـة بالملكة الى ان ضبط فى فضيحة خلقية أثبتت انه كان شاذا جنسيا .

من هو دون جوان ؟ هل هو عبد للجنس . رجل دائم البحث عن الحب ؟ ام رجل يبحث عن المتعة الجسدية على حساب سمعة امرأة وفقدانها عقلها . سادى فى الحقيقة !

هل هو ثائر على صورة الاب .. ومتعلق بأمـه ويريد ان يثبت أن النسـاء الاخريات عاهرات « كمـا يقـول المحللون النفسيون» . هل هو محترف عواطف . أم هو عاجز جنسيا ويريد اثبات قدراته فيتفاخر بمغامراته ؟

لم يعد دون جوان قاصرا على أسبانيا . ففى العالم عـدد لايحصى من الـ « دون جوانات » ..وليست الصفة مقتصرة على الرجال .. فقد ظهرت أيضا بين النساء .. وان كانت نشأت على نفس الارض الاسبانية .

« دونا جوانا » كتب عنها «روجاس زوريللا» فى احدى مسرحياته التى صورت حياة الطبقة فوق المتوسطة فى مدريد . وقد جعل «دونا جوانا» فى احدى مسرحياته تفتح ستة خطابات من الراغبين فى الزواج منها .. وتبدى احتقارها بملاحظات تقولها عن كل واحد منهم .

وظهر فى نفس الوقت شخصية مناقضة تماما لشخصية دون جوان .. وهى شخصية دون كيشوت التى خلقها «سرفينتس» . فقد صوره رجلا بهر بقصص الفروسية وعاش فى عالم من الخيال والمثاليات وأخذ على نفسه اصلاح ما فى العالم من شرور .

وقد رأى فلاحا يشد خادمه الى شجرة ويعذبه لانه طالب بأجره . فأثار هذا المنظر شهامته وذهب الى الرجل وأرغمه على أن يفك وثاق الخادم وأخذ عليه عهدا ألا يعود الى هذا الظلم لكنه لم يكد يختفى حتى عاد الفلاح الى شد وثاق الخادم . وعاد الظلم الى مجراه .. هذا مثل مما أوهم به دون كيشوت نفسه فى امكان رفع الظلم عن المظلومين .

واتخذ دون كيشوت الفارس الجوال تابعا له كان على نقيضه تماما ومع ذلك قبل مصاحبته فى تجواله لصداقته له .. ولأنه أيضا وعده أن يعطيه جزيرة يحكمها بمجرد أن يكون الامبراطورية التى يأمل أن يخضعها لسلطانه .

والفارس لايجد ما يحفزه على البطولة خيرا من فتاة يجعلها مستقر حماسته ومعبد أفكاره . واتخذ دون كيشوت محبوبته فى شكل فتاة ريفية . وكانت «دولسينه» البطلة ذات العيون الخضراء التى أحبها حبا أفلاطونيا . وقد قال يوما لتابعه « سانكو » :

« فى الاعوام الاثنى عشر التى أحببتها خلالها أكثر من نور عينى .. لم أرها سوى أربع مرات . حبى وحبها أفلاطونى لم يتعد تبادل النظرات .. حتى فى تلك النظرات كانت تخفض بصرها ، وهذا يدل على تربيتها الفاضلة » .

وقال له «سانكو» الذى كانت نظرته للفتاة مجردة من خيال حكايات الفروسية «أعرفها جيدا وأقسم انه يمكنها ان تقذف بعمود حديدى بمهارة كأى شاب قوى فى حينا . هى طويلة وقوية . أقسم بالرب انها مومس معروفة كم لها من قوة فى جسدها وصوتها » .

وكان فى أحلام الفارس انه لابد ان يدافع عن فتاته وأن يحمل كل من يلقى من فرسان على الاقرار بأنها أجمل وأنبل فتاة على الارض .. وقد قابل جماعة من التجار فى طريقه فحسب ، لجنونه ، أنهم فرسان جوالون مثله .. فاستوقفهم وتحداهم ان يدلوه على فتاة أجمل من «دولسينه» وسأله أحدهم أن يريهم فتاته حتى يحكموا .. وقال لهم انهم لابد ان يحكموا دون رؤيتها وأن يعلنوا هذه الحقيقة . وكانت نتيجة خياله أن ضرب ضربا مبرحا وبقى أياما فى فراشه يداوى جراحه .

وبالرغم من ان دون كيشوت كان خياليا ، الا انه كان رجلا من لحم ودم .. لكنه كان يراقب رغباته الشهوانية . ففى هذا المشهد الهزلى عندما كان يسير فى حجرة نومه ملفوفا بلحافه وعلى رأسه كوفية صوفية ودخلت السيدة « روديجيز » لتتحدث اليه .. شعر الاثنان بخطر .

وقالت له : « هل أنا فى أمان يافارس . أرى انك خارج من فراشك »!

وقال : « أسألك نفس السؤال وأريد أن اعرف هل سأكون بعيدا عن الاغراء » ؟!

قالت : «من ى شيء » ؟!

قال : «منك ٠٠ لانى لست من رخام ٠٠ ولا انت من نحاس والساعة الآن ليست العاشرة صباحا لكنها بعد منتصف الليل٠ ونحن فى مكان آمن ، لكن اعطينى يدك ياسيدتى فليس لى ضمان أكثر من عفتى وحذرى » !

واستمر دون كيشوت فى مغامراته حتى مات بعد أن علم ان القتال لخير البشر قتال مع طواحين الهواء ٠



الوصايا العشر





*

قال رحالة ايطالى :

« المرأة الاسبانية توحي بفكرة خطفها ، خصـــوصا المرأة الأندلسية ٠٠ ليس فقط لأنها توحي اليك بكل أفعال الشيطنة فهى دقيقة فى تقاطيعها ، رشيقة فى قوامها ٠ مرنة ٠ ناعمة قدماها الصغيرتان يمكن وضعهما فى جيب معطفك ٠٠ وبيد واحدة يمكنك أن تحملها من وسطها ٠٠ كأنها خلقت لتخطف»

وقيل ان المرأة كانت تخفى قدميها الصغيرتين اكثر من أى جزء من جسدها ٠ وانها اذا كشفت عن قدميها لحبيبها فمعنى ذلك تأكيد حبها ٠ وكانت المرأة فى تلك العصور الماضية معبــودة الرجل ٠ ومن قصائد الحب فى العصور الوســـطى « الوصايا العشر» ٠ كان يغنيها المحب لمحبـــوبته ٠ ويبدأ بقــوله انه سيسمعها وصايا الحب اذا هى سمحت ٠ وغالبا ماتسمح له فيقــول :

الاولى : تعلمنى ان احبك اكثر من حياتى ٠

الثانية : أقسم ألا أنساك ٠

الثالثة : حتى فى الكنيسة افكر فيك ٠

الرابعة : أحترم والدى وأطيعهما ٠٠ الا عندما يمنعانى عن رؤيتك ٠

الخامسة : تمنعنى من القتل ٠٠ لكن لاأدرى ماذا أفعل اذا رأيت معك رجلا آخر !

السادسة : لن أرغب فى امرأة سواك ٠

السابعة : لن أكذب على أحد الا عندما أحضر لأراك ٠

الثامنه : لن اكون شاهـــد زور ٠ لكن كم من الـكذبات سيقولونها لنتشاجر ٠

التاسعة : لن أشتهى امرأة غيرك ٠

العاشرة : لن أطمع فى ممتلكات أحد ٠٠ فلا يوجد فى الحياة شىء أغلى منك ٠٠

سيدتى هذه الوصايا العشر وضعت للمحبين ٠ وبالرغـم من انها يمكن ان تكلفنى حياتى ٠٠ فأنت التى أريدها زوجتى»

ومع كل ماقيل فى المرأة الأسبانية عن رقتها ونعومتها وأنوثتها الطاغية ٠ الا انها عنيفـة فى عواطفها ٠ لاتعرف الاعتـدال فى منطقهـا ٠ فاما الحب الملتهب واما الازدراء المميت ٠ واذا كان القانون قد سمح للزوج الغيور بقتل عشيق زوجته فى القرن الثامن عشر فقد كانت المرأة الغيور تتصرف مثل الرجل فى ثورة غضبها ٠ فعندما تداهمها الغيرة تفعل المستحيل لتكتشف الحقيقة ولا تهمها الفضيحة ٠

ومن حكايات الغيرة فى ذلك الوقت أن احدى جميلات البلاط الملكى فى مدريد علمت ان حبيبها يخونها ٠٠ فتنكرت فى زى رجل وتبعته الى أن تحققت من خيانته فطعنته فى صدره وأصابته بجرح خطر ٠ ثم بكت ٠ وندمت على مافعلت وأرادت ان تقتل نفسها ٠

ولما أخذوها الى الملك نظر اليها باشفاق .. وقال :

« أعتقد انه لايوجد اتعس من انسان يحب ولايكون محبوبا .. اذهبى فأنت تحبين بعنف ولا ينفع قيادك بالمنطق . لكن حاولى ان تكونى عاقلة فى المستقبل ولا تفسدى عفوى عنك » .

والاسبانية يعلمها أهلها منذ صغرها التعلق بالدين .وهذه العاطفه المقدسة تفتح روحها للحب . وحبها للقديسين يوقظ عواطفها وغريزتها الى حد ما . وعندما تصل الى سن السادسة عشرة .. يحدث تناقض فى حياتها بين تعلقها بالدين وواجباتها الدينية . .وبين تفتح أنوثتها وتلبية رغباتها الحسية .. وقد تعيش فى صراع بين ضميرها ووجودها . فيمكن أن تكون بين ذراعى حبيبها وتتركهما فجأة لتركع أمام صورة العذراء ..ثم تسرع لتلبى نداء اللذة .

وقال «كازانوفا» : « المرأة الاسبانية لاتنسى ان تغطى صورة المسيح أو العذراء فى شقتها قبل ان تستسلم لرغبة حبيبها »

وكانت حلبة مصارعة الثيران مكانا للتعارف بين الفتيات والشبان . ومكانا للقاء المحبين . يتبادلون الحديث بلغة العيون والمراوح .. كانت الاسبانية تتعلم فن الحديث بالمروحة .. وكان الرجل يفهم هذه اللغة . وفى حلبة المصارعة كان يظهر بوضوح التناقض فى شخصية الاسبانية . فالتعبير الذى يبدو على وجهها عندما تشاهد الدماء يطغى على رقتها وان كان يجعلها أكثر فتنة . فهى امام نوع من الصراع ينفس عن صراعها الداخلى . صراع بين الانسان والحيوان .. بين الرجل والحيوان . وانتصار الرجل خصوصا اذا كان حبيبها يجعلها تفقد سيطرتها على نفسها .

وفى نهاية القرن الثامن عشر كانت النساء الثريات من نبيلات أسبانيا يتبنين مصارعى الثيران ويغدقن عليهم الملابس والهدايا .. وكانوا عشاقا لهن أو مجرد فرسان أفلاطونيين .. وفى

حلبة المصارعة كانوا ينحنون أمام هؤلاء السيدات • واذا وجد الجمهور أن المصارع ليس فى حالته الطبيعية من القوة • كانت العيون الغاضبة تتجه الى عشيقته ويزعقون «انها غلطتك •كان يجب أن تتركيه يأخذ حقه من النوم فى الليلة الماضية »

وبالرغم من تحفظ الاهالى على الفتيات كانوا يتركون لهن فرصة الحب حتى يتزوجن •• وكانت العائلة التى بهافتيات فى سن الزواج لا تسكن فى طابق مرتفع • كيف اذن ستتزوج الفتاة ؟! كانت الفتاة تقف فى النافذة حتى يراها الشبان الى ان يعجب بها أحدهم • وتجذبه النافذة كل يوم فيقف يغنى لفتاته ويصرح بهيامه بها • وتبدأ قصة حب من النافذة غالبا ماتقود الى زواج يباركه الاهل • ولأن الاسبان يغنون لكل مناسبة ففى حفلات الزواج كانوا يغنون للعروس عندماتترك الكنيسة:

« قولى وداعا ياصغيرة ياحلوة ، قولى وداعا للبيت والديك • فهذه آخر مرة تخرجين منه عانسا • اركعى ياصغيرة حتى يباركك والداك قبل أن تذهبى » •

ويغنون للعريس :

« لاتعاملها مثل مكنسة • لقد كانت تعامل معاملة حسنة فى منزلها • عاملها بحب واعتن بها • فهم لم يعطوها لك لتكون جارية • لكن لتكون شريكتك » •

وعندما يرافقونها الى باب بيتها يقفون تحت النافذة ويغنون • « الآن أنت تحتويها بين ذراعيك •• عاملها برقة ، هذه هى التى ستكون لك دائما ، الى الأبد »

وفى ليلة الزفاف كثيرا ماتبدأ مشكلة لاختلاف تربية الفتاة عن الفتى • الفتاة تتربى فى جو محافظ وكثيرات يستسلمن لتحفظ الاهل ولا تكون لهن أية تجربة • والفتى يزاول حياته العاطفية فى سن مبكرة تبدأ أحيانا من الثانية عشرة • عادة

تبدأ حياته هذه مع نوع معين من النساء لهن تجارب •• عندما يتزوج يطالب من زوجته التى ليست لها أية تجربة ان تكون مثل المرأة ذات التجربة •• وبعد ليال يقول ان زوجته باردة • والحقيقة انه لايعرف كيف يعاملها او يعلمها •

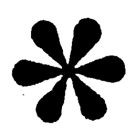
ولا يحدث طلاق الا نادرا • لكن الشاب يبدأ فى حياة ثانية خارج البيت وتكون له عشيقة وعادة تكون من فتيات الليل أو راقصة •

والى الآن مازالت المشكلة العاطفية موجودة فى أسبانيا • فالفتاة تخاف من التجربة لانها تريد ان تتزوج وهذه التجارب تقلل من فرصة زواجها ، وتلقين الأهل للفتيات عن الشرف والعادات الاسبانية يؤثر على تفكيرهن •





الحب بالرقص والغناء



الأسبان يحتفظون للآن ببعض تقاليدهم وعاداتهم القديمة . وتظهر خصيصا فيأعياد القديسين فترتدى الفتيات والشبان الملابسالاسبانية التقليديةالقديمة ويغنونويرقصون،ومازالت هذه الاعياد فرصة للتعارف بينهم وبداية لقصص حب وزواج .

وفى أحد هذه الاعياد تضع الفتيات مشابك شعورهن فى الماء المقدس ليتقدم لهن عرسان .

وهذه العادات والتقاليد الاسبانية تقل كلما اتجهنا شمالا. وتقل أيضا حدة الغيرة والحب المغلف بالخرافات . فمثلا نساء الأندلس مازلن مقيدات بالعادات ودورهن سلبى فى الحياة . وأسبانيات الشمال أقل عاطفة ولاتتحكم فيهن فورة الحب الملتهب مثل نساء الجنوب . فالشمال القريب من أوربا كان ومازال تأثير أوربا عليه كبيرا . حتى فى وقت التزمت فى القرن الخامس عشر .كانت نساء مدينة برشلونة مرحات مثل الفرنسيات .. وقال أحد كتاب ذلك العصر « نساؤنا يقلدن الفرنسيات فيرتدين الكورسيهات ويرقصن ويغنين ويشربن الخمر طوال الليل ويقبلن الرجال علانية ويتحدثن عن الحب والمحبين . »

ونساء برشلونه للآن أكثر اعتمادا على أنفسهن ويعتقدن انهن يمكنهن الحياة بلا رجال .

ومن زمن بعيد امتلأت القصص العاطفية بأسطورة «كارمن» وبالحب الغجري وكل ما يحمله من محرمات الشرف والعذرية الاسبانية والغيرة القاتلة والغموض. والى الآن مازال في أسبانيا هذا الحب وهذه الاسطورة .

وقد أحب أحد الفنانين الفرنسيين راقصة غجرية في مدينة اشبيليه وكانت مخطوبة لسائق تاكسى . وفي يوم أخبرته أن خطيبها عرف بحبه وقرر أن يقتله والأفضل له أن يرحـــل لكن الفنان كان مغرما بالراقصة فأقنعها بالرحيل معه . وذهبا شمالا الى مدريد . ولم تهتم الراقصة بهذا الانتقال واحتفظت بعاداتها الاشبيلية وسببت له احراجا في الفندق . فكانت كل مساء قبل ان تنام تضرب الارض بكعبها في رقصة . واعتقد الفنان انها تحب الرقص اكثر من حبها له . وتعب من صحبتها وأبدت هي الاخرى تعبها منه . وكان عليه أن يعود الى باريس فاشترى لها تذكرة عودة الى مدينتها ووضع عدة ورقات مالية في ظرف وأعطاه لها . فرحت الغجرية بالتذكرة . أما الاوراق المالية فقد مزقتها بغضب وهى تصرخ : «ماذا تظن بى؟» وغضب الفنان لانه لم يكن يملك مالا كثيرا . لـكنه أعجب بكبريائها الاسباني . وبعد عدة أسابيع وصلته برقية منها الى باريس تسأله ان يرسل لها نفس كمية الاوراق المالية التى مزقتهــا . وتعجب الفنان وقال انه لايستطيع ان يفهـم المرأة الاسـبانية والغجرية بالذات .

واذا كانت الراقصة الغجرية ترقص في أى مكان لتعبر عن مشاعرها أو لتدرب كعبيها . نجد طريقة (كارمن) في التعبير عن عواطفها بالغناء . وعادة يكون صوتها قويا ومرتفعــا . ومعظمهن من الغجريات أيضا .

أما في القرى الصغيرة الكثيرة في أسبانيا . القرى التى تحيط كل واحدة منها كنيسة صغيرة . القرى الساطعة الالوان التى فيها الحياة مغلقة مثل الحياة في معسكر اعتقال . الحب فيها يتبع هذا النمط من الحياة .. هذه الحياة التى قـدمها (لوركا) في مسرحياته .

فمثلا في مسرحية « الزفاف الدامى » يقـــدم لوركا الأم

الاسبانيه الاصيلة التى تحب فى الرجال الشهوة الجنسية . تقول بكبرياء :

« جدك كان يترك طفلا فى كل ركن يذهب اليه . اننا لابد ان نصنع الحياة . لكن المرأة يجب ألا يكون لها عشيق. فالنساء يعشن لابنائهن » .

وفى مسرحية (يرما) صور لوركا الزوجة التى تريد طفلا والزوج الذى لايريد . فليس غريبا انها تزوجت لتنجب أطفالا . وأخيرا تقتل الزوج . فالحنين الى الامومة والرغبة فى قتل الزوج الملام شىء يحدث كثيرا وبلا حدود فى تلك القرى .

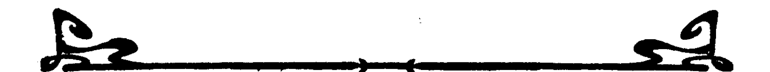
وفى مسرحية « بيت برناردو البا» يظهر لوركا خضوع المرأة الأبدى للرجل والعبودية الجنسية البعيدة عن المتعة وحرية الاختيار .. فقد صور الجنس على أنه سجن مظلم .

وبسبب هذه العادات والتقاليد الاسبانية مازالوا يعتقدون للآن أن أسبانيا شىء وأوروبا شىء آخر . وأنها ليست جزءا منها . اذا استثنينا الشمال . وربما انتشر هذا الاعتقاد لانه منذ العصور الوسطى والاسبان يقاومون ويهاجمون أى تأثير من أوربا ، خصوصا من فرنسا . على عاداتهم وكان معظم الهجوم من رجال الدين .

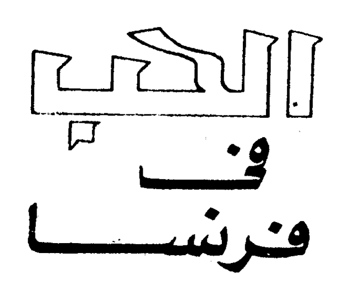
فمثلا اعترض «مطران تالافيرا» على مبالغة الملكة (ايزابيلا) فى مرحها أثناء احتفالات برشلونة بالمعاهدة بين أسبانيا وفرنسا . وقد دافعت الملكة عن نفسها بكبرياء . وقالت :

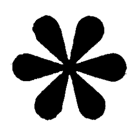
« أنا لم أرقص كثيرا ولا ارتديت ملابس مبهرجة وكذلك كل سيدات القصر ، واذا كان من عادة الفرنسيين أن يجلسوا مع النساء حول مائدة واحدة فالبرتغاليون والانجليز يفعلون هذا أيضا . واننا نفعل مثلهم فى المناسبات . ولا أجد سوءا فى هذا . فهل تسوء سمعتك اذا دعيت ضيوفا الى مائدتك؟»

لقد هاجم رجال الدين على مر العصور التأثير الفرنسى على عادات أسبانية . فكيف كان الحب فى فرنسا التى هوجمت كثيرا من الاسبان والتى كان لها تأثير قوى على بلادهم فى الشمال ؟






الحب
في
فرنسا



فى فجر العصور الوسطى كان غرب أوربا متخلفا فى فن الحياة والحب ، فلم يلعب الحب دورا هاما فى المجتمع الفرنسى يرتفع عن مستوى الشهوة القاتمة • وفجأة ذاب الجليد وظهرت العواطف الناضجة والافلاطونية وتغنى الشباب بالحب •

وكان السبب فى هذه الصحوة المفاجئة ظهور جماعة « التروبادور » وهم الفرسان الشعراء الذين ألفوا أشعارا عن الحب وتغنوا به •• وقد ظل الحب زمنا مقرونا بالشعر •

وقصائد «التروبادور » لم تعبر فقط عن الحب الافلاطونى فكان بعضهم يطلب من الحبيبة فى «قصائده» أن تشعره بلمسات يديها على عنقه ويصفها أحيانا وهى عارية • ويمر «التروبادور» بأربع مراحل الى أن يصل الى معبودته • مرحلة التطلع • ثم مرحلة التوسل • ثم مرحلة الطلب ، وأخيرا يصبح عشيقا • وعندما يصل الى المرحلة الرابعة كان يقول قسما بأنه سيبقى مخلصا لها ويختم هذا القسم بقبلة •• وكان أحيانا يأخذ « التروبادور » معبودته الى الكنيسة ويقول قسم الخلاصه امام القس حتى يبارك الرب حبهما • وقد تشاجر احدهم مع محبوبته فأنهى حبهما فى الكنيسة أيضا حتى يصبح كل منهما حرا وربما يجد سعادته مع آخر•

وقيل ان جماعة « التروبادور » كانوا عاجزين جنسيا او شواذ . لكن الكثيرين لم يتركوا شكا فى رجولتهم . فكان لبعضهم أكثر من حبيبة وأعلن أحدهم ان له ثلاثا . مومس لمتعته الجسدية . وفتاة لمتعته العاطفية .. وسيدة لمتعته الذهنية . وبالرغم من انهم كانوا فرسانا عاديين الا أن بعضهم كانت حياته بوهيمية . فزعيمهم «جيرور دى بورنيل» كان يمضى الشتاء فى القراءة والتعلم والصيف يمضيه متنقلا بين القصور بصحبة أشعاره . ولم يتزوج .

و «التروبادور» «بيير فيدال» كان تصرفه شاذا مجنونا . فقد أحب سيدة لم يتبادل معها أى حديث وكانت تسكن أحد القصور . وأطلق عليها فى أشعاره « المرأة الذئبة » وكان هو أيضا يتنكر فى صورة ذئب ويحوم حول قصرها فى المساء مقلدا صوت الذئب . وكان تنكره محبوكا حتى انه لفت نظر الرعاة فى المنطقة .. وذات مساء هجم عليه كنبهم وكاد أن يمزقه . وخرج خدم القصر على صريخه وحملوه الى الداخل .

فنظرت اليه السيدة بدهشة أمازوجها فقدأثاره منظره وضحك ضحكات عنيفه بطريقة العصور الوسطى القاسية .. لكنه أشفق عليه وأحضر له طبيبا . وقد كتب « التروبادور » اجمل أشعاره فى ضيفيه اللذين اكرماه ..

ونادرا ما كان « التروبادور » يموت بسبب الحب . وقد قال أحدهم بعد فشله فى حبه «لم أمت ومع ذلك فألمى عظيم »

فى ذلك الوقت كتب الكثيرون نصائح للمحبين وكانت معظمها موجهة للنساء . وكانوا يرون ضرورة أن تسير المرأة ورأسها مرفوع لأعلى ولا تنظر يمينا أو يسارا وأن تكون خطواتها ضيقة .

ومن كتاباتهم :

«اذا كنت قصيرة فصافحى الناس وأنت جالسة ، اذا كنت رفيعة فارتدى ملابس كثيرة . اذا كان صدرك اكبر مما يجب فاربطيه برباط حتى تقللى من حجمه . »

« لابد ان تكونى حذرة خصوصا اذا كنت جميلة حتى لاتكونى عرضة لأحاديث الناس. ولا داعى أن تعدى رجلا وأنت لاتنوين ان تعطيه شيئا . والافضل ان تسيرى على خطة ترسمينها لتصلى الى الرجل الذى تريدينه . ويجب ألاتختارى حبيبك من طبقة أقل منك ولايكون قبيح الوجه »

« عندما يقبلك حبيبك القبلة الاولى تظاهرى بالدهشة وبالغضب .. وستعلمين ماإذا كان يحبك حقيقة ام هو فقط يشتهيك . ولاحظى الى أى مدى سيتبعك . واجعليه ينتظر كثيرا الى أن تقبلى لقاءه .. وعندما توافقينه على زيارتك . . اجعليه يقفز سور الحديقة او يتسلق جدارا حتى تخدش يداه أو وجهه.. بعد هذا المجهود الذى يبذله فى سبيلك كافئيه بابتسامة وقبلة .

« عندما تكونين مع حبيبك احتضنيه برقة واجعلى من صدرك وسادة له . ولاتحدثى أحدا بزيارته لك .. وعندما تقابلينه وسط الناس . تظاهرى انك لاتعرفينه . واستعمال الروائح له سحر خاص فى أنف الرجل . لكن الرائحة لابد ان تكون على جسد نظيف . وليس صحيحا أن المرأة التى تستحم كثيرا اقل فضيلة من التى لاتسحم .

« لايوجد حرج فى قبول هدايا أو نقود من حبيبك عندما تكون العلاقة طيبة معه .. فما دام معظم الرجال يخدعون ويذهبون فشىء ثمين يبقى بعدهم » .

وبالرغم من أن رباط الزواج كان مقدسا الا أن الطلاق كان مباحا أيضا .. وقد قرر اثنان من النبلاء أن يعقدا قرانهما بعقد مدته سبع سنوات . على أن يجدد اذا رغبا فى الاستمرار .

وكانت المسرحيات الهزلية عن الزواج كثيرة وفيها الكثير من المبالغة التى تجعل المشاهدين يضحكون ٠

وفى احدى المسرحيات « كانت الزوجة وأمها تلومان الزوج لعدم مساهمته فى أعمال المنزل ، وفى احدى مشاجرات الزوجين تدخلت الحماة واقترحت على الزوجة أن تكتب على ورقة كل طلباتها التى تريد من الزوج أن يساهم بها ٠ ووافق الزوج متضررا وجلس مطرقا يكتب الاوامر ٠ أن يستيقظ مبكرا ليقوم بطلبات الصباح ٠ اذا بكى الطفل فى المساء يستيقظ ليهز فراشه ٠ يخبز العيش ٠ يساعد فى غسل الملابس ، ينظف المطبخ ٠ وبعد أن كتب واجباته أمرته الزوجة ان يبدأ فى مساعدتها فى الغسيل ٠٠ ووقف الزوجان على حافتى برميل كبير به ماء ساخن وأخذا ملاءة سرير ليغسلاها معا ٠ وعن قصد أو بدون قصد جذب الزوج طرف الملاءة فوقعت الزوجة فى البرميل وصرخت تطلب النجدة ٠٠ لكن الزوج بدلا من أن يساعدها على الخروج أمسك ورقة الواجبات وأخذ يقرؤها ٠ وقال انه ليس مكتوبا ضمن البنود بند لمساعدة الزوجة للخروج من برميل الغسيل ٠ وجاءت أمها على صريخها ٠ واتفقت مع الزوج على أن يمزق قائمة الواجبات وينقذها وان يصبح سيدا فى بيته وعلى هذا الاساس وافق على انقاذ زوجته »

وفى مسرحية أخرى :

«جانيت وبربيت صديقتان لم تقتنعا بزوجيهما لانهما كبيران فى السن ٠ فذهبتا الى حداد وسألتاه أن يسبح الزوجين ويغير شكليهما ٠ وحذرهما الحداد وقال لهما ان الزوجين لن يكونا احسن حالا ٠ لكنهما أصرتا ٠

وتم التحويل ٠ وظهر الزوجان شابين مرحين وفرحت الزوجتان لكن فرحتهما لم تدم طويلا فأخلاق الزوجين قد تغيرت

بتغير شكلها •• شـــبابها جعلهما آمرين قاســين •• وبدأ يضربان زوجتيهما • وندمت الزوجتان عـلى مافعلتا • لـكن الحداد قال لهما انه من المســتحيل تسبيح الزوجـين مرة أخرى •• »

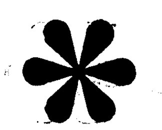
كانت المسرحيات الهزلية تقول فى النهاية ان محاولة تغيير الزوج أو الزوجة تقود دائما الى التغيير الى أسوأ •

وامتد طابع السخرية والنكتة من القرون الوسطى الى عصر النهضة •





عصر اختراع
السراويل النسائية



فى عصر النهضة انتقل الحب من لغة الشعر الى لغة النثر • انتقل الى المناقشة فى حجرات الاستقبال • واستبدلت الاغانى التى كانت متبعة فى العصور الوسطى برقصات جديدة • وكانت معظم الرقصات تنتهى بقبلة • وقال أحد الكتاب أن الرقص يظهر حقيقة ما اذا كان المحبون يتمتعون بصحة جيدة ومستعدون للزواج • فعندما يتبادل المحبان قبلة فى نهاية الرقصة يمكن لكل منهما أن يشم رائحة الآخر ويعرف ما اذا كان يستسيغها أم لا • ويعرف أيضا ماذا كانت رائحة «نفسه» حلوة •

وازدهرت الحياة فى القصور وبدأ ظهور النساء فيها • وقالوا ان البلاط بلا نساء مثل الربيع بلا زهور • وكانت السخرية والنكات والمقالب فى طابع البلاط • وفى حفلة أقامها الملك لويس الثانى عشر لتكريم السفير الاسبانى قالت الملكة خطبة لهذه المناسبة باللغة الاسبانية كتبها لها أحد المقربين وأصدقاء الملك • وذهل السفير من الكلمات التى قالتها الملكة • كانت كلمات لا يصح ان تقولها امرأة • وضج الملك بالضحك فقد كان يعرف ماذا ستقوله الملكة ولم يحذرها • ورفض عقاب صديقه عندما طلبت الملكة منه هذا •

ولما بدأت النساء فى الظهور اعتنين بمظهرهن • واتبعن نظما قاسية للتجميل •• كن يبتلعن الرمال ورماد الفحم ليحصلن على بشرة ناعمة • وبدأت النساء فى العناية بجمال عقولهن أيضا •• فقرأن لأفلاطون وبترارخ وتعلمن اللغة اليونانية واللاتينية ، وكن يحلقن شعورهن فوق الجبهة من مقدمة الرأس ويرفعن بقية الشعر الى أعلى • واعتقدن أن هذا المنظر يعطيهن جوا فلسفيا •

وبدأت النساء يكثرن من ارتداء الملابس الداخلية ،واخترعت السراويل النسائية • وكان هذا الاختراع من أجل زوجة هنرى الثانى •• فقد كانت تمتاز بساقين جميلتين وكانت تهوى ركوب الخيل وتجلس على الحصان وساقاها على جانب واحد منه وقد لوحظ فى الايام الشديدة الرياح عندما يطير طرف ردائها انه يبدو تعبير غريب على وجوه رجال الحرس !

فكان هذا الاختراع وكانت اول من ارتدت السروال • وقد ظهرت ضجة أمام هذه الموضة الجديدة بين مؤيدين ومعارضين فالمؤيدون قالوا انها حل حاسم للمشكلة التى تظهر فى الايام الشديدة الرياح • ولا يظهر الكثير من جسد المرأة اذا وقعت من فوق حصان •

وقال المعارضون ان هذه الموضة رجالى ولا تتمشى مع طبيعة المرأة • والافضل ان تترك نفسها عارية تحت الرداء •وبالرغم من الضجة أقبلت نساء المدينة على هذه الموضة •

وقد اعترض أحد كتاب ذلك العصر المشهورين «مونتانى» على طريقة تنشئة الفتاة « فهى ترى الحياة من جانب واحد وهو الحب • وطريقة تربيتها تثير خيالها ومشاعرها • ووجد أن الزواج يكفل حياتهن وهو طريق معيشتهن • لكن أحيانا يكون للزوج حياة أخرى •

فالأزواج كثيرا مايقفون تحت تأثير الجميلات خارج منازلهم وفى نفس الوقت يحرمون على زوجاتهم التصرف مثلهم • فهم يخافون فضيحة زوجاتهم ولا يخافون فضيحتهم هم • فالرجل يزن الرذيلة على حسب هواه •

وكان الرجل الذى يغفر لنفسه الخيانة اذا اكتشف خيانة زوجته يعاقبها عقابا شديدا • أحيانا كان يحلق لها شعر رأسها الذى كان فى ذلك العصر أهم مميزات جمالها • وفى احدى القصص قتل الزوج عشيق زوجته وأخذ عظامه وصنع منها حساء وأجبر زوجته على أن تشرب منه كوبا كل يوم • وسمع أحد النبلاء بقصة المرأة المسكينة وتحدث مع زوجها ليغفر لها • وتدخل الملك أيضا عندما سمع الخبر • وأخيرا عفا الزوج عن زوجته وعاشا بعدها سعيدين وأنجبت له ذرية كثيرة •

أما عن تضحيات الزوجة المحبة فظهرت فى قصة حدثت فى بلاط «فرانسوا الاول» • أن احدى وصيفات الملكة تزوجت من حب أحد فرسان الملك المخلصين • وقد اتهم الفارس بالخيانة وقيل انه سلم حصنا لأعداء الملك الذى كان يشن ضدهم حربا • فأمر الملك بسجنه • وبعدها اختفت الوصيفة الجميلة من البلاط وروجت عنها اشاعات لم تصدقها الملكة لثقتها فى حبها لزوجها • وبعد فترة وصل للملكة خطاب منها ترجوها فيه أن تطلب من الملك استدعاء زوجها السجين ليحقق معه بنفسه حتى يستطيع ان يثبت براءته • وفى نفس اليوم جاء للملك رسول يحمل اليه خبرا بانتصار جيوشه وقال له ان الفارس الذى قاد الجيوش للنصر سيحضر غدا • وفى الغد أمر الملك باحضار فارسه السجين • ولما مثل بين يديه رفع قبعته وانحدر الشعر الاصفر على الكتفين وما كان الفارس الا الوصيفة الجميلة زوجته • وحضر الفارس الذى قاد جيوشه للنصر وما كان الا زوجها • لقد ضحت الوصيفة ورشت

حارس السجن لتأخذ مكان زوجها الذى ذهب الى الحرب ليثبت براءته وقد أثبتها فعلا بالنصر • واحتفل البلاط بهما • كان وجهها مضيئا بالسعادة لبراءة حبيبها بالرغم من الذبول الذى اعتراها فى السجن •

وظهرت كاتبة وشاعرة جريئة فى ذلك العصر وهى الاميرة «مرجريت دى نافار» فى نصائحها للنساء أن يفقدن الامل فى فرانسوا الاول •

والنساء فى تلك الايام لم يطلبن الكثير من الرجال • ولم تثر واحدة على انها محكومة من رجل • كل ما كانت تريده المرأة ألا يهملها الرجل وأن يعاملها معاملة طيبة • وتقــول «مرجريت دى نافار » فى نصائحها للنساء ألا يفقدن الامل فى اصلاح الرجال «ففى كــل يوم أربع وعشرون ساعة وفى أى ساعة من هذه الساعات يمكنه ان يغير رأيه » •

وتقول عن الحب انه يجعل الشخص يفقد شخصيته وفرديته وهو مثل المرض العقلى عندما يصيب شخصا يغير من حياته أو يتدخل فيها الى حد ما • ولا احد يعرف اصل هذا المرض •• ومن أشهر كتاباتها محادثات بين السيدات والفرســـان وضعت فيها آراءها الخاصة •• مثلا يسأل الفــارس « ماهى صفات المحب الكامل • هل هو الذى يعبد حبيبته عن بعد دون أن يظهر لها مشاعره وأفكاره ؟»

وتقول السيدة «اسمى المحب الكامل •• هذا الذى عندما يحب يبحث عن شىء من الكمال • فى الجمال • فى الطيبة • أو فى الافعال الخيرة •• الذى يجاهد فى سبيل الفضيلة وبقلب نبيل • وأن يكون الموت بالنسبة له خيرا من القيام بعمــــل شائن »

ووصفت «مرجريت» ظهور السريرين المنفصلين لراحــة ازواج عصر النهضة • كانوا يحبون القراءة قبل النوم وهذا كان يقلق الزوجات فاقترحوا السريرين المنفصلين •• وكانت

الوصيفة تجلس بجوار سرير الزوج وفي يدها شمعدان . وكثيرا ما كانت الزوجات يكتشفن الازواج وهم يغازلون وصيفاتهم ، ولا يقرؤون .

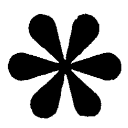
ومعظم الكتاب الرجال وجدوا ان المرأة تسلب عقل الرجل ، وتبعده عن التفكير النبيل وتجعله يفكر فى احتياجاته الجسدية واعتقدوا أن المرأة جنس ضعيف سريع التأثر وغير كامل . ومع ذلك فبعض الذين كتبوا عن الحب دافعوا عن النوع الافلاطونى ، ووجدوا أن النظرة التى تمر من العين الى القلب مثل النار ، ولذتها تعادل لذة ممارسة الحب . وفى العصر الكلاسيكى انتاب الفرنسيين نوع من العظمة في المظهر والتصرفات وقد أثر هذا على الحب .





إذا لم تخطفنى

أنت لا تحبنى



كانت الملابس تمتاز بالفخامة فكانت المرأة ترتدى أكثر من جونلة واسعة تحت ردائها • وباروكة شعر كبيرة على رأسها حتى تظهر بمظهر العظمة • وكذلك الرجل كانت ملابســه معقدة ومزركشة وعلى رأسه باروكة شعر طويلة •

لم يكن موليير مبالغا عندما وصف أحدهم بقوله :

ان باروكة شعره كبيرة جدا حتى انه عندما ينحنى بتحية يمسح بها الارض • وكانت الشرائط التى يلفها حول ساقيه من كثرتها وضخامتها تصلح ان يختبىء الاطفال خلفها ويلعبوا حول ساقيه لعبتهم المشهورة • وربما سمى القرن السابع عشر بالعصر الكلاسيكى لهذه المظاهر التى بدت على الناس فقد كانوا يحبون العظمة فى كل شىء •

وكان الآباء يختارون لبناتهم وأبنائهـم أزواجا وزوجات أغنياء • وأصبح نادرا زواج الحب ، والذين كانوا يتزوجون نتيجة لحب كانوا يقدمون اعتذارا علنيا لجنونهم • وقد نقد «موليير» طريقة الزواج فى ذلك العصر • نقد الآباء الذين كانوا يزوجون

أبناءهم وبناتهم دون علمهم • وجعل احدى بطـــلاته تخون زوجها وتقول له : « هل سألتنى عن رغبتى فى الزواج منك • أنت سألت والدى • هما اللــذان تزوجاك ولست أنا • فاذا أردت الشكوى فاذهب اليهما • »

ووجد المحبون صعابا واعتراضات فى جميـــع الجهات اذا أقبلوا على الزواج • ونشأت من هـــذا التزمت فكرة خطف الفتيات وأصبحت موضة • حتى ان الفتاة التىلا يخطفهاحبيبها تعتبر هذه اهانة كبيرة لها • لكن هذه الموضة منعت بقانون وعقوبة بعد حادث خطف هز الاوساط الفرنســية خصوصا البرجوازية المحافظة فى عام ١٦٤٨ •

وهو حادث خطف المركيز «روجردى بوسيهرابوتين»للارملة الشابةمدام«دىميرامون» • وكان «بوسيه» مشهور بمغامراته العاطفية• وكانت حياته مقسمةبين الجيش وصالوناتباريس• وقد أصبح أرملا وهو فىالثلاثين من عمره مثقلا بكميـة هائلة من الديون وببناته الثـلاث • ووجـد أن الحـل الوحيــد لمشاكله أنيتزوجامرأة غنية• وأخبرهاحد اصدقائه عنضالته• ارملة شابة غنية من البرجوازية • فتعرف عـلى القس الذى تعترف له حتى يدله على طريقة ليراها ويكون واســطة بينهما ودفع له مبلغا من المال • وفعلاأخبره القس عن مكان ستذهب اليه الارملة ويستطيع أن يراها وتراه • ولما رآها شـــغف بجمالها ومظهر العظمة الذى يدل على غناها • وأخبره القس انها هى أيضا اعجبت به •والحقيقة انها لم تلاحظ حتى وجوده فى المكان • ولان بوسيه كان معتادا على الانتصارات السهلة فلم يشك فى حـديث القس • وقال له بعد ذلك أن الأرملة

مستعدة للزواج منه لولا معارضة أهلها • فهم يريدون لها زوجا غنيا ومع ذلك كانت عند القس خطة • فأعطاه بوسيه مزيدا من المال • وبعد فترة اخبره أن العائلة مازالت معترضة وعليه أن يقوم بخطوة يجبرهم بها على القبول • وظن بوسيه أن الأرملة تريد منه ان يخطفها • فأعد قصرا يملكه عمه ليذهب بها اليه •

وأخبره القس عن رحلة ستقوم بها وأخذ منه كمية أخيرة من المال واختفى بعدها •

فى اليوم المحدد كانت الارملة مع حماتها وسيدة مرافقة وفارس فى الطريق عبر الغابة • وهجم رجال بوسيه عليهم « بقيادة » أخيه الصغير وخطفوا الارملة • هددتهم الحماة باسم عائلتها لكنهم لم يلتفتوا لها • وحاولت الارملة الهرب لكنها لم تفلح • وعندما وصلوا بها الى القصر سألت الاخ الصغير اذا كان هو الذى خطفها • وتعجب الفارس من سؤالها وقال لها انه منفذ لتمثيلية أعدتها هى مع أخيه المركيز «دى بوسيه» • ولما قالت له أنها لا تعرف أخاه هذا أيقن الفارس ان شيئا خاطئا قد حدث ووعدها أن يقوم بحمايتها الى أن تظهر الحقيقة •

ولما أخبر الأخ الصغير بوسيه بحديثه مع الأرملة تعجب وقال « لقد وعدت بحمل فاذا بى أعطى أسدا •• اسألها اذا كانت تريد أن ترانى » •

وما كادت تراه حتى قالت باصرار انها لن تتزوجه • وصرخت وشتمت ووقعت مغشيا عليها • فأرسلوا فى طلب طبيب من مقاطعة مجاورة • وجاء الطبيب بخبر أن فرسان الملك فى هذه المقاطعة فى طريقهم لمحاصرة القصر • فقد علم الملك بخبر

الخطف وثار لهذا التصرف الشاذ الذى قام به أحد فرسانه •

ولما أفاقت الأرملة شرح لها بوسيه سوء التفاهم الذى حدث وخرجت فى صحبة حرسه الى المقاطعة المجاورة لكن فى الطريق وجد رجال المركيز حرس المقاطعة فى طريقهم اليهم فتركوا عربة الأرملة وأخذوا خيلها وهربوا • وسارت وحدها الى المقاطعة • وجدت أبوابها مغلقة وقالوا لها :«لانستطيع أن نفتح أبوابنا • فالبلد فى حالة طوارىء ورجال الحرس ذهبوا لانقاذ سيدة خطفها أحدالفرسان » وصرخت « أنا هى •• أنا•• هى» وأغمى عليها من التعب والانفعال •

وقد هزت هذه الحادثة الاوساط البرجوازية المتحفظة فى العاصمة وثاروا على استهتار الفرسان ورفعوا قضية فى المحكمة • وقد كانت مواجهة سخرية الناس وسخطهم أصعب على بوسيه من مواجهة القضاء • وانتهت عمليات الخطف بهذا الحادث • وانتهت مغامرات الفارس بوسيه الذى قال « انَ الحياة لايستحق أن يعيشها الانسان بلا نساء ولامبارزات ولا حفلات راقصة • فمن الأيام العظيمة التى تمر على الرجل • عندما يبارز فى الصباح ويرقص فى المساء ويمضى الليل مع عشيقته » وقال

« لقد قدر لقلوبنا أن تتحد مع قلوب الآخرين منذ لحظة وجودنا فى الحياة ، والى أن نجد ماقدر لنا فأننا نتوقف فى اختبارات صغيرة تستمر وقتا طويلا او قصيرا • وهذه الاختبارات نزوات تمر • لكن عندما يجد القلب الشخص المقدر له فهذه هى العاطفة الحقيقية التى تبقى لسنوات كثيرة • بعض الناس يقضون وقتا طويلا فى البحث عن هذه العاطفة بينما آخرون لايجدونها أبدا »

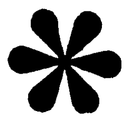
ويبدو انه كان من الذين لم يجدوها أبدا ٠ كان صالونه مليئا بصور عشيقاته وتحت كل صـــورة كتب تعليقـا عن صاحبتها وطبائعها وكيف انتهت العلاقة ٠

فى ذلك العصر ازداد تقارب النســاء من الرجال وكثرت الأوقات التى يقضونها فى صحبة بعضهم بعضا فى مقابلات الصالونات التى تنتشر ٠ وكانت لهذه الصــالونات ملكات وكانت تتوارث مثل ارث مقدس ٠



الحب فى فرنسا

ملكات الصالونات



قامت مدام «رامبوييت» بثورة معمارية فى منزلها وصممت ديكورا جديدا حتى يكون فى منزلها صالون لاستقبال أصدقائها وصديقاتها · فقد كانت منازل القرن السابع عشر لاتصلح للمقابلات التى تكون على نطاق واسع · وكانت باردة جدا حتى كان النساء والرجال يستقبلون ضيوفهم فى حجرات النوم ·

وثورة مدام «رامبوييت» كانت أيضا على الالوان القاتمة التى كانت تعطى المنازل جوا مقبضا · فكانت أول من أنشأ صالونا بثورة معمارية ·

وجاءت بعدها مدام «دى لافاييت» ، التى تركها زوجها فى قصره الريفى لتنشىء صالونا أدبيا فى باريس · وقد عبرت عن نظرتها المتشائمة للحب فى روايتها «أميرة كليف» ·جعلت أحداث القصة فى زمن يسبق زمنها كما كان متبعا فى كتابات ذلك العصر · والقصة بسيطة جدا : أميرة تزوجت من رجل تحترمه لكنها لاتحبه ·· وأحبها دوق وسيم وبادلته الحب بالرغم منها · ولم يتبادلا قبلة واحدة · أرادت مدام « دى لافاييت» أن تؤكد ان المظاهر الخارجية للحب ليست ضرورية ·

وكانت الاميرة نموذجا فريدا فى عصرها • فكان شعورها بالواجب نحو زوجها قويا • وشعورها بالاخلاص والصراحة عظيمين حتى انها اعترفت بمشاعرها نحو الدوق لزوجها •• لكن الزوج نهشته دودة الغيرة فوضع جواسيس عليها •وأخيرا مات بتأثير قوة الغيرة الهادمة • وأصبحت الاميرة حرة لكنها رفضت الزواج من حبيبها وذهبت لتعيش فى دير • لماذا ؟!• لانها تعتقد أن الحب لايستمر ، وقالت لحبيبها ان الحب يبقى إلى أن تشبع الرغبة الجنسية • وانها لاتحتمل فكرة ان تصبح مخدوعة ، ولأول مرة فى تاريخ فرنسا الادبى تناقش قضية الاميرة فى رواية «لافاييت» على صفحات جريدة • فهل كانت الاميرة على صواب فى اعترافها لزوجها بحبها لرجل آخر ••ام كانت مخطئة ؟ وكانت كل الخطابات التى وصلت الجريدة لاتؤيد فكرة الاعتراف !

وكان من أشهر الصالونات الادبية صالون «نينون دى لنكلوس» كانت ثائرة على طريقة تربية الفتاة وعلى زواج القرن السابع عشر وتحكم الازواج • وكانت أول من تحدث عن الحب الحر الذى لايتقيد بالزواج • وقد قالت لوالدها وهى فى الحادية عشرة من عمرها انها لاتريد أن تتعلم الاشياء التى يعلمونها للفتاة وتريد أن تتعلم مثل الولد • وعليه أن يعاملها على انها فتى • وقد لبى أبوها طلبها ولبست البنطلون والبدلة الرجالى وتعلمت ركوب الخيل واللغات بمساعدة والدها • وعندما كبرت واكتمل تعليمها وثقافتها أعلنت ان الزواج ليس ضمن خطة الحياة التى وضعتها لنفسها • وأنشأت صالونا أدبيا حضره الأدباء والفنانون وكثيرون منهم طلبوها للزواج • لكنها كانت تسخر من الفكرة وتنتظر الى ان تنتهى النزوة • او تسخر من طلبهم حتى يشفوا من حبهم • وكانت حياتها مليئة بالمغامرات العاطفية • وقد

أنجبت طفلة ولم تعرف اباها وتشاجر عليها اثنان من عشاقها - الى أن فاز بها أحدهما وأخذها · وربما كان عدم شعورها بعاطفة الامومة هو الذى جعلها لا تسأل عن طفلتها ولا عن طفل آخر أنجبته وأخذه أبوه ايضا وقد ظهر فيما بعد فى حياتها وكان سببا فى ان تنتهى نهاية تراجيدية · فعندما وصلت الى الستين كانت مازالت فاتنة ولها قدرة فى التأثير على الرجال · وكان صالونها دائما مزدحما · وقد ارسل احد عشاقها السابقين ابنهما هذا ليتعرف على مجتمع صالونها ويندمج فى الحياة الاجتماعية · واهتمت «نينون» اهتماما خاصا به · لكن الشاب الذى كان فى الخامسة والعشرين من عمره احبها بفورة شبابه حبا مجنونا، وعندما صرح لها بهذا الحب واقترب منها ليحتضنها أخفت وجهها بين يديها وبكت وهى تصرخ «أنا امك» وصدم الشاب وجرى فى الحديقة وطعن نفسه بسيفه ولم تستطع انقاذه ومات بين يديها · بعد هذا الحادث مرضت لمدة طويلة وأطفئت انوار صالونها وماتت بين يدى صديقة واحدة لازمتها فترة مرضها · وقال احد معاصريها «لقد عاشت حياة رديئة لكنها كانت صحية ممتعة » ·

وانتشرت الصالونات فى القرن الثامن عشر وكانت لها ملكات، وكانت الحياة الادبية والسياسية تدار وتحكم من هذه الصالونات ومنكاتها · كانت ملكة الصالون او صاحبته تعتمد على ذكائها أكثر من جمالها بدليل أن صالونات الكثيرات ظلت مضيئة بالرغم من تقدمهن فى السن وزوال جمالهن ·

وكانت مدام «دى لامبرت» على عكس «نينون» فى نظرتها للحب ، فكانت تؤمن بالحب الافلاطونى النقى · ومن كلماتها :

« الحب أول مباهج الحياة واجملها · ولما كانت هذه العاطفة ضرورية لسعادة الانسان فلا يصح أن تختفى من المجتمع -

لكن على الفـــرد أن يتعلم كيف يتحكم فيها • مدارس كثيرة فتحت لكمال العقول •• لماذا لاتفتح واحدة لكمال القلوب ؟ هذا الفن قد أهمل • والحب يحتاج الى فن فمعظم الرجال يحبون بأخلاق سوقية وفي رأسهم فكرة واحدة • ومع ذلك لابد أن نعترف بأن الفرنسيين عرفـوا كيف يجعلون من الحب فنـا رقيقا ؟

وبانتهاء حيـــاة « مدام دى لامبرت » انتقـــل معظم رواد صالونها الى صالون « مدام دى تنسين » فكانت الصـــالونات تتوارث مثل ارث مقدس • كانت « مدام دى تنســين » نموذجا فريدا فكانت تدير شئونها العاطفية والمالية في وقت واحد • وكان « مونتسكيو » من رواد صالونها وقال « ان كل شيء في فرنسا يمكن عمله بواسطة النساء • فهن يشكلن دولة جديدة داخل الدولة »

وكانت النساء قليلات في صالونها ، المعهن كانت مدام دى جيوفرين من البرجوازية الغنية •• وتعلمت منها فن قيـــادة الصالون وورثت ضيوفها فيما بعد • وقد استمرت مدام دى تنسين أربع سنوات على علاقة حب وعمل مع رجل أعمـــال ، وكانا يتشاجران كثيرا • وفي احـدى مشاجراتهما العنيفـة اتهمها بخيانته وسرقة أمواله واطلق على نفسه الرصـــاص • وكانت فضيحة قادت مدام دى تنسين الى السجن • ولما كان مسموحا لها بمقابلة ضـــيوفها فسرعان ما تحولت حجـــرة سجنها الى صالون • وتوسط لها أصـــــدقاؤها لدى الملك فأفرج عنها • وبعـد موتها انتقـل الصـــالون الى « مدام دى جيوفرين » ••

كانت متزوجة من رجل لاتحبه أجبرها أهلها على قبـوله • وفي سن الاربعين عندما قررت انشاء صـــالون ادبى أراد أن يجارى حياتها لكنه لم يكن مثقفا مثلها • وحدث ان أعطاه أحد الادباء رواية من مجلدين ليشركه في صحبتهم • فقرأ المجلد

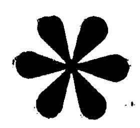
الاول مرتين وقال للاديب أن الرواية ممتعة لكن الاحـــداث متشابهة تماما فى جزءيها ، وبعد ان تبين خطؤه امتنـع عن المشاركة فى أحاديثهم ، ولما اختفى من بينهم سأل أحد أصدقاء جيوفرين عن الرجل الصـــامت الذى كان يجلس بينهم على المائدة وأين ذهب ، قالت ببرود (كان زوجى ومات) · وقد أنشأت (جيوفرين) صالونين ، واحدا للفنانين وقـد عزف (موزار) فيه وهو فى الثامنة من عمره · وصـالونا للكتاب الفلاسفة · وكانت أول مضيفة تســمح للغرباء بالتردد على صالونها ، فكان من ضيوفها ملك السويد ، وكانت تراسل بصفة دائمة كاترين الثامنة الروسية · وعندما كانت فى الســتين دعاها ملك بولندا لزيارة بلده ·

أما فى القرن التاسع عشر فكانت الصالونات أكثر جدية خصوصا بعد ان قرر نابليون منع النساء من لعب أى دور فى السياسة ·





المركيز
دى ساد



انتشر الفساد والانحلال الخلقى فى المجتمع الفرنسى فى القرن الثامن عشر .. انتقل من القصور الى المجتمع كله ، وليس غريبا أن ينتهى كل هذا بثورة دامية تطيح بكل شيء . وتأثر الحب بهذا الجو مثل أى شيء آخر فكان عاطفة سطحية ليس لها جوهر ، وكانت النساء يسلين أنفسهن بجمع أكبر عدد من المحبين ويتبادلنهم وكان للرجل اكثر من عشيقة .

قال أحدهم : «نحن ليس لدينا اصدقاء ولانحب عشيقاتنا .. الحب لم يعد له وجود فى هذا العصر .. الناس لم تعد لديها عواطف صادقة . وداعا للحنان والرقة فالحب المزيف يزدهر ، وإذا اختفى الحب فستسود العالم همجية ، اننا نعانى من تعطل قلوبنا » .

وظهرت طبقة البرجوازية من اصحاب رءوس الاموال والتجارة وأغنياء المزارعين وقلدوا فى مجتمعاتهم حياةالقصور، وكان لابد لهذه المظاهر ان يعنى الناس بمظهرهم الخارجى فكانوا شديدى التأنق . وفى بداية العصر ظهرت موضة الأرداف

الضخمة بين النساء ولم تكتف النساء بالعناية بمظهرهن الخارجى فزين عقولهن أيضا بالعلوم الطبيعية وعلم الفلك والتشريح حتى ان احدى سيدات المجتمع كانت عندما تسافر الى مكان تضع مع ملابسها هيكلا عظميا تصحبه معها لتدل على ثقافتها ··

وظهرت شخصيات شاذة أهمها المركيز « دى ساد » الذى سيبقى اسمه دائما مقرونا بمرض القسوة والعنف فى الحب ، هذا الاديب المجنون الذى انتهت حياته فى مستشفى للامراض العقلية ، كتب عن اللذة فى تعذيب الناس ، عن الدم ·· والشهوة فى ارتكاب الجريمة ولم يكتب فقط عن هذه الاشياء بل نفذ كوابيس أحلامه فى حياته ·· وكان فى بداية شبابه يشترك فى مغامرات حربية ، واشترك فى حروب السنوات السبع ، وعندما بلغ الثالثة والعشرين قررت عائلته ان تزوجه من فتاة اختارها لكنه احب اختها الصغرى ومع ذلك أجبرته العائلة على الزواج من الكبرى التى كانت مخلصة له للنهاية ·

وبعد الزواج انهمك المركيز فى حياة فاجرة ولم يكن هذا شاذا فى عصره ، ولكن الشىء الشاذ كان فى معاملته للمومسات اللاتى كان يدعوهن فى منزله الخاص ، ومنذ ذلك الوقت وضعت صفة « سادى » لحب تعذيب الآخرين ، وكانت المومسات يتحملن نزوات الزبائن لكن المركيز كان شيئا مختلفا فقسوته كانت لاحد لها ··

واشتكين للبوليس فأمر لويس الخامس عشر بحبس المركيز وكانت أول مرة يدخل فيها السجن ، وقد أمضى سبعة وعشرين عاما من حياته فى سجون مختلفة ·

وحدث ان سألته يوما سيدة فقيرة فى الطريق ان يعطيها صدقة ، فأخذها الى منزله الخاص بحجة انه سيعطيها عملا وذهبت منقادة الى هذا العرض المغرى .. لكن المركيز أجبرها على خلع ملابسها وربط يديها خلف ظهرها وضربها بكرباج الى ان غطت الدماء جسدها .. ثم أحضر علبة مرهم لشفاء الجروح ووضع منها على جروحها وضمدها .. ولما خرجت السيدة بعد يأسها من انه سيطلق سراحها ذهبت للبوليس .. وقد أجاب « دى ساد » على اسئلة البوليس بأنه اراد ان يجرب مرهما جديدا .. ووضع فى السجن ، لكن زوجته بسلطتها استطاعت ان تفرج عنه ، وهرب الى مرسيليا .. وهناك وزع حلوى ممزوجة بمادة سامة على نساء فى بيت دعارة وجلس يشاهد عذابهن ومات عدد منهن امامه ، وحكم

عليه بالاعدام عن هذه الحادثة .. لكن زوجته استطاعت ان تخفيه فى قصر ريفى وكانت معها اختها التى كان يحبها .. وعندما ذهبت زوجته الى باريس لتسعى فى تخفيف عقوبته هرب مع أختها الى ايطاليا .. لكنه استدعى الى فرنسا للمحاكمة وسجن هذه المرة فى سجن الباستيل .. وكان يرفض مقابلة زوجته .. وهناك ظهر ميله للكتابة .. وكان يلقى خطابا على المارة خلال أسوار حدائق السجن .. وعندما أصبح تصرفه غير محتمل أرسلوه الى مصحة للامراض العقلية . ومرة أخرى هرب ، وذهب الى زوجته التى كانت قررت ان تعيش فى دير ، لكن المرأة التعسة قد تحملت ما فيه الكفاية فرفضت مقابلته .. وطلبت طلاقا رسميا .

ولما حصل عليه اتخذ عشيقة ومكث يكتب ضد كل ماهو متعارف عليه ولم يلتفت أحد بجدية الى كتاباته ، وقد انتهت حياته فى مستشفى للامراض العقلية ، ويبدو أنه لم يكن تعسا فى مأواه الاخير ، وكان بين النزلاء ممثلون وظهرت للمركيز موهبة جديدة فقد كتب واخرج مسرحيات مثلوها وكان الجمهور يدعى اليها .

وكان « دى ساد » يتصرف مثل أى شخص عادى فى تلك الفترة ، لكنه من حين لاخر كان يطلب سلالا من الزهور الغالية ويأخذها الى الحديقة ويقطعها ورقة ورقة ، ويدهسها بقدميه فى الطين ٠٠ كانت الزهور الرقيقة آخر شىء نفس فيه عن رغبته المجنونة فى التحطيم ٠

كانت نماذج الحب الحقيقى فى ذلك الوقت نادرة ، وكانت الفتيات يقبلن على الزواج ليمارسن حريتهن ٠٠ وعندما قامت الثورة الدامية نما الحب بين جدران السجون ٠٠ الحب الرقيق والحب الشهوانى ، فقد كان الفزع والرعب اليومى من المقصلة وحياة السجون له تأثير فى الحب فدفعه الى اسمى معانيه والى أحطها أيضا ٠

كان مسموحا للرجال والنساء أن يجتمعوا فى المساء ويتجولوا فى فناء السجن وانتشرت القصص العاطفية والجنسية ٠ ولما ظهرت اشاعة بأن السيدة الحامل تعفى من المقصلة ذهبت النساء برغبتهن فى الحياة الى الرجال ورحب الرجال بهذه الاشاعة ٠٠ فلم يكن هناك اعتراض على مزاولة الجنس خصوصا فى سجن « لوكسمبورج » حتى قيل لمديره أن هذا السجن أول ماخور فى باريس ٠٠ ولم يهتم فكان يتركهم يتمتعون بوجودهم طوال فترة وجودهم على قيد الحياة٠

وقد كانت نساء فرنسا يتصرفن بشجاعة عن الرجال فالثورة أظهرت ضعف الرجال ، فقد كانوا أنانيين ، خائفين ومزيفين ، وكانت النساء على العكس ٠ واكتشفن حقيقة نفوسهن ٠٠ فى ذلك الاضطراب غامرن ليعطين المأوى والحنان للذين يريدونه ٠

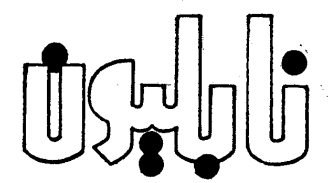
وبعد الثورة انتشر الحب الحر الذى لايتقيد بالزواج وانتشر الزواج المدنى والطلاق السهل ٠

وبالرغم من أن قادة الثورة أيقنوا ان الحياة العائلية المنظمة مطلوبة للمجتمع فى ذلك الـوقت واهتمـوا بالاسرة الا أن الشباب قرروا ان يتمتعوا بالحيـاة واتجهـوا الى الـرقص وأقيمت مئات الحفلات الراقصة ٠٠ وكان صـوت الموسـيقى يطغى على ذكريات صوت الفزع ٠٠ وأصبح الحب نوعا من الخشونة وطريقا لارضاء الجنس ولم يعد للزواج قدسية ٠

وعندما جاء نابليون الى السلطة جذبه المجتمع الملئ بالنساء. وكانت حياته الغرامية فى شهرة حياته العسكرية ٠



غراميات







« استيقظت في الصباح وأنا ممتلىء بك • بصورتك وذكرى ليلة الامس المسكرة • جوزفين الجميلة التى لاتقارن تركت تأثيرا غريبا على قلبى • هل انت غاضبة • هل أراك حزينة • أم قلقة • ستتألم نفسى اذن وسوف لايهدأ أصدقائى • عندما استسلمنا لمشاعر عميقة لهب أشعلنى • سأراك بعد ثلاث ساعات • والى أن أراك أرسل لك مليون قبلة • لكن لاتعطينى واحدة الا اذا كانت ستشعل النار فى عروقى •• »

هـذا كان أول خطاب غرامى أرسله نابليون لجوزفين فى خريف عام ١٧٩٥ بعد أول ليلة حب • لقد وجدها النموذج المثالى للمرأة بينما هى وجدته مجرد عاشق وفتى بين كثيرين • كان صغيرا جاهلا وكثير الاخطاء • وكانت كبيرة عاقلة لها مغامرات • كانت روحه عذراء وكذلك كان جسده • وهى كانت الملكة « النصف عارية » للحاكم • وكان كل طموح نابليون فى ذلك الوقت أن يتزوج جوزفين ويعيش معها حياة زوجين من الطبقة المتوسطة • بينما كان طموحها أن تجنى أى فائدة من وراء الارتفاع المفاجىء والسلطة لجنرال مخلص شاب •

لم يكن نابليون شيئا ، كان فقط يحلم ببطولات خارقة وينتقل كضابط صغير من معسكر الى معسكر • الى ان ذهب الى

باريس بأمر ليخمد ثورة الغوغاء•وقد اطلق النار عليهم ببرود وعين حاكما عسكريا للعاصـــمة ٠٠ فى ذلك الوقت فى نهاية عام ١٧٩٥ قابل جوزفين وأحب بلا أمل لاول مرة فى حياته ٠ وقبل ان يلتقى بها كانت تجاربه العاطفية مجرد نزوات ٠٠ وكانت فلسفته أن يتزوج لينجب أطفالا وان المرأة لها عمـــل واحد وهو البيت وان تطيع زوجها وتربى أطفالها ٠ أما الحب فكان يعتقد انه وهم مخيف وضار للبشر ٠ وبهذا المنطق فتن بونابرت بابنة تاجر غنى من مرسيليا وهى « ديزيريه كلارى » كانت فتــاة عادية المنظر لكنهــا كانت هادئة مطيعة ولديها مميزات زوجة أحلامه ٠ وخطبها ولم تمنعه الرســـميات من اغتصابها ٠ ثم ذهب الى باريس وبعد عدة أيام نسى « ديزيريه» ووقع فى حب الأنثى الخطرة « روز جوزفين » ٠

كــانت جوزفين مطلقة وأمــا لطفلين ٠٠ وكــانت فى ذلك الوقت العشيقة الرسمية لأقوى رجل فى فرنسا «بول باراس» كان وجهها جميلا ٠ لكن أسنانها كانت صفراء وضــعيفة ٠ كانت نحيفة وناعمة وبارعــة فى (لعبــة الفراش) ٠ وكانت أيضا سيدة أعمال ٠ تعيش على الدين والرشـــوة والصفقات غير القانونية ٠ وكان نفوذ عشـــاقها ينقذهــا من الافلاس أو السجن ٠

عرف نابليون عنها كل هذا لكنه لم يهتم فقد كان منساقا بتأثير قوة جنس لم يعرفها من قبل ٠ منقادا كأعمى أو بشىء من حب تعذيب النفس ، وغفر لها سوء اخلاقها وتصرفاتهـــا وماضيها ٠ حتى انه اراد ان يطهرها من هذا الماضى فجعلهـــا تحذف اسمها الاول « روز » الذى عرفه عشـــاقها الكثيرون واصبح اسمها « جوزفين » وبجانب حبه القوى لها إعتقد انه يمكنه الاستفادة من علاقته بها فى مستقبله العملى ٠ ففىذلك الوقت الذى كانت فيهفرنسا تتأرجح بين الثورة والامبراطورية كانت جوزفين على علاقة طيبة مع الجانبين : النظامين الجـديد

والقديم · وبلا خجل استغل بونابرت مركز جوزفين المرموق وأيقن ان الزواج منها سيدفعه الى المناصب العاليـــة · وكان عشيقها الرسمى « باراس » قد تعب منها وفرح عندما سلمها لحماية بونابرت ·

وبعد زواجه منها ذهب الى حروب ايطاليا · فى الصباح كان يحارب وينتصر وفى المساء يكتب لها خطابات ويرجوهـــا ان تذهب اليه · لكنها لم تكن ترغب فى ترك باريس ونشاطهـــا المعتاد ومتعها · وكان عشيقها الاخير ضابطا شابا شريك عمل وفراش ·

ولعبت جوزفين بأعصاب بونابرت وأرسلت له تخبره انها حامل وصرخ بالفرح واراد أن يترك جيشه ليذهب ويراها · وهدد بترك عمله اذا لم يســـمحوا له بالذهاب · فتدخلت الحكومة وأمرت جوزفين أن تسافر الى ايطاليا ·· فذهبت اليه وبصحبتها عشيقها وكان كلمـــا ذهب الزوج لانتصـــاراته ذهب العشيق الى فراشها ·

سنتان وبونابرت يحاول يائسا أن يجعل جوزفين تحبـه ولا يجد الا عدم وفائها ومغامراتها ولما ذهب الى مصر كانت تصله أخبار خيانتها فقرر أن يطلقها · وعندما عاد الى باريس وعرفت جوزفين إنه ينوى طلاقها لم ترد أن يحدث هذا وهو فى قمة مجده ·

وقد اغلق على نفسه باب حجرته وظلت وراء الباب المغلق تحدثه وتسترضيه الى أن فتح لها وكانت الدموع تغمر وجهه· احتضنها واستسلم مرة أخرى لمهارتها فى ممارسة الجنس ·

وبالرغم من انها أصبحت تكفر عن أخطائها وتسترضيه الا انها بقيت على الخيانة ·

كان بونابرت جرحه عميق · وابتعدت عن رأسه أفكـاره الرومانسية فى الحب·واصبح بالنسبة له مجرد جنس،وأصبحت علاقته بالمرأة التى يعرفها نوعا من الحرب · كان يعاملها على أنها

عدوة ولا بد ان ينتصر عليها • قرر ألا يلاحق اى امرأة بعد جوزفين • وأصبحت النساء يلقين بانفسهن عند قدميه وهو في قمة مجده ، وكان يأخذ متعته دون كلمة حلوة أو معاملة رقيقة • واحيانا كان يطلب المرأة التى يرغبها اثناء عمله وتنتظره في حجرة مجاورة الى ان ينتهى من اجتماع او عمل• ثم يصرفها بخشونة ويقول ان رغبته قد ذهبت • أو يمارس معها الجنس بلا مبالاة وبخشونة • وكان مغرما بممثلات الكوميدى فرانسيس • ولما علمت جوزفين بدأت تشعر بالغيرة وتتلصص عليه في جناحه الخاص •

وأصبح وقحا في معاملته للنساء ، خصوصا زوجته • فكان يهزأ منها في المجتمعات ويلقى النكات على ملامحها التى بدأ يظهر عليها كبر السن • ويقول انها عاقر • لكنها هزأت منه وقالت انها قد انجبت من قبل والعاقر هو زوجها • وبالرغم من ذلك زارت الاطباء بلا فائدة وكان نابليون قلقا قبل تسلمه الحكم فقد أراد أن يكون له وريث مباشر •

وتوجت جوزفين بجانبه وبقى سنين معذبا بفكرة انه عاقر الى أن حملت منه احدى عشيقاته اليانور دينويل • وكانت وصيفة لاخته • وفرح بالخبر الذى ينفى تهمة جوزفين • وعندما علم الامبراطور نابليون بمولد اول طفل له كان في طريقه الى وارسو • وقابل امرأة لعبت دورا هاما في حياته ، ماريا والوسكا البولندية • لقد نظرت اليه نظرة امتنان كمحرر لبلدها والقت بصحبة من الزهور على عربته • أعجب بها وسأل عنها • كانت زوجة كونت بولندى • ودعاها الى حفلة• أراد أن يعاملها كبقية النساء لكنها لم تفهم ماذا يقصد •أرسل لها رسالة فاعادتها اليه • وجن جنونه • فاجتمع السفراء في بيتها ليقنعوها من أجل حب بولندا أن تخضع لرغبة الامبراطور وذهبت اليه • وبقيت بجانبه ويبدو انها أحبته فقد تركت زوجها وذهبت معه الى باريس• وللمرة الثانية اصبح لنابليون طفل واخبر جوزفين بأبوته بالرغم من أنه كان يعلم انه لن يتزوج ماريا •

وأخيرا طلق جوزفين · كان مشهدا تراجيديا وهى تبكى ترجوه الا يتركها · وبعدها شعر بحب لها ممزوج بالشفقة عـــلى نفسه من ذكريات سعادته وعذابه معها · وقـــد زارها كثيرا وارسل لها الهدايا فلا عجب انها كانت المرأة الوحيـــدة التى أحبها ·

وتزوج مارى لويز ابنة امبراطور النمسا ونسى جوزفين وماريا · ونسى طفليه وعـاودته عقـــدته بأنه عاقر · أما مارى لويز فكانت امرأة وقحة نهمة وكان بونابرت يترك اجتماعاته ومقابلاته ليذهب الى فراشها · وانجبت له وريثا للعرش لكنها لم تكن تحبه فعندما فقد عرشه هجرته · وكانت المرأة الوحيدة المخلصه له هى « ماريا والوسكا » البولندية الرقيقة · وأرادت أن تذهب معه الى منفاه بعد هزيمته فى ووترلو لكنه رفض · وفى نهاية أيامه وجد أن عقده الجنسية لوثت عظمته ·





الحب معجزة الحضارة



بعد أن شفى المجتمع الفرنسى من تحكم البرجوازية ظهر طابع جديد للحب · يمتزج بالخيـــال والضـــعف · ظهر فى الروايات الفرنسية وكان مسرحه القصور القديمة والغابات الغامضة والمقابر المهجورة · وكان المظهر الرومانسى أن يكون الفرد متألما ويشكو من قلبه الحزين ·

وكانت الموضة أن تبدو المرأة بوجه شــاحب ويغمى عليها بارادتها عندما تسمع الشــــعر العاطفى الحزين · وتحدث المحبون عن الموت والانتحار وزادت بالفعل حوادث الانتحـــار حتى كان من شعار الحب عذاب المحبين ·

وظهر كتاب القرن التاسع عشر المشــــهورون وانتشــلوا الحب من المرض الذى أصــــابه ودافعــــوا عن المرأة ·· قال « ستاندال » ··

« بالرغم من ان الخيال يلعب دورا فى الحب الا ان هــــذه العاطفة التى تبدأ بالاعجاب ليست وهما بل هى فعلا الحقيقة الوحيدة » ·

« الحب معجزة الحضارة ٠٠ فالبدائيون لا يهمهم سوى الاتصال الجنسى »٠ ويعتقد « ستاندال » أن الحب بداية السمو والعظمة ٠ وقال انه كان ضئيلا قبل ان يحب ٠ والشخص الذى لم يحب بعاطفة قوية لم يعرف أجمل شىء فى الحياة ٠٠ وقال ان الخيانة الزوجية يمكن أن تنعدم اذا تعلمت الفتاة تعليما أحسن واذا تركت لها حرية الاختيار ٠٠ فالمرأة تنتمى للرجل الذى تحبه ويحبها ٠٠ ويعتبر الرباط القانونى هو الذى تحكمه العاطفة الحقيقية ٠

ووجد « ستاندال » «وبلزاك» تشابها بين الحب والموسيقى ٠٠ قال بلزاك :

« الحب اعذب هارمونى والنساء آلات حساسة للبهجة ٠ لكن على الرجل أن يعرف كيفية العزف على أوتارها ويدرس مفاتيحها ٠٠ فكم من الرجال يتزوجون دون معرفة حقيقية للمرأة وبذلك يخذلون قلوبا لا يفهمونها ٠٠ وأى عازف يعرف انه لابد أن يكون بينه وبين الآلة التى يعزف عليها نوع من التعاطف ٠٠ والحب مزيج من الحاجة الضرورية والعاطفة ٠٠ وما السعادة الا نتيجة تفاهم تام بين أرواح الزوجين ٠٠ وليكون الرجل سعيدا لابد أن يخضع لقواعد معينة للشرف والرقة والذوق ٠٠ وأن يحب بأخلاص ٠٠ فالعاطفة القويه لا شىء يمكنه مقاومتها ٠ لكن ليكون الشخص عاطفيا لابد ان يشعر برغبة دائمة ٠٠ فهل يمكن للرجل المتزوج ان يستمر فى رغبة زوجته ؟ »

وقال بلزاك ردا قاطعا على سؤاله « نعم يمكنه ٠٠ فالتظاهر بأنه من الاستحالة الاستمرار فى حب نفس المرأة ليس طبيعيا ٠٠ كما يمكن أن يقال ان العازف الموسيقى يحتاج الى عديد من الكمنجات ليعزف قطعة موسيقية ويخرج النغمة الممتازة ٠٠ والحب هو شعر الحواس وهو مفتاح لكل ما هو عظيم فى قدر الانسان ٠٠ وهو يرتفع بالانسان أو هو لا شىء » ٠

ويتفق مع رأى ستاندال أيضا فى ان سبب الزيجات التعسة هو وضع المرأة فى المجتمع وتعليمها فيقول أن « طريقة تعليم الفتاة خاطئة وان المرأة التى تتلقى نفس تعليم الرجل قادرة على أن تسعد زوجها ونفسها أيضا . لكن مثل هذه المرأة نادرة ندرة السعادة نفسها » .

وقال « الرجال ليس لديهم وقت للتفكير فى تعليم الفتيات وعلاقة هذا بالزواج .. فهم يبيعون وقتهم ،والمال ربهم،فكيف يهبون جزءا من هذا الوقت للتفكير فى [illegible]

وكان عقاب الزوجة الزانية مازال شديدا . وعندما ضبط البوليس « فكتور هيجو » [illegible] « بيارد » يمارسان الحب أخذ الزوج حقه القانونى فى عقاب زوجته وسجنها .. وبعد السجن وضعت فى دير .. وقد لام المجتمع هيجو .. لكنه ساعدها بعد الافراج عنها ووجد لها عملا تتكسب منه بعد أن أصبحت بلا مأوى .. فلم تكن مصادفة أن ينضم فيكتور هيجو الى حركة المطالبة بحقوق المرأة بعد عدة سنوات ..

وانضم المؤرخ « ميشليه » الى الثوريين الاجتماعيين للدفاع عن المرأة والزواج وقال « المرأة تتعذب فى الحب عن الرجل .. فالرجل تسعده معدته .. ويكون أحسن حالا مع المرأة بعد عشاء طيب » ..

ويقول « الفن الحقيقى للحب يجعل الشخص قادرا على ان يحب فى أى فترة من عمره .. فالحب يبعث العواطف التى تجدد الحياة وكما يعتقد أن الشباب الحقيقى للانسان يبدأ متأخرا فهو يعتقد ايضا ان الحب الحقيقى يأتى بعد الزواج لانه يحتاج الى وقت حتى نحصل عليه .. »

أما الدكتور « جارنير » فقد كتب كتابا جادا عن الزواج وكتب فى مقدمته أنه أمام ظاهرة خطيرة فى ازدياد

العلاقات غير الشرعية وزيادة حالات الاجهاض ٠٠ واعرب عن رأيه بالمثل الفارسى الذى يقول « ثلاثة أشـياء محببة الى الله ٠٠ حمل طفل ٠ وزرع شجرة ٠ وكتابة كتاب » ٠ ووضـع مميزات كثيرة للزواج وقال انه ثبت علميـــا ان المتزوجين لايموتون بسهولة مثل العزاب أو فى سن الشـباب فالزواج يحفظ من الامراض والجنون والانتحار ٠٠

وقـد كـان « فولتير» أول من قـال ان العزاب ينتحـرون بسبب الحياة المليئة بالهمـوم ٠٠ وكـان « جارنير » من رأى « بلزاك » فى تحذير المتزوجين من العـزاب ، فـلا يصـح ان يدخلوا منازلهم لانهم اعداء الحب الزوجى وارائهم خطيرة على الحياة الزوجية ٠٠

وفى نهاية القرن التاسـع عشر تغيرت الحيـاة العـامة ٠ فامتلأت الطرقات بالاتوبيسات ووجد الشباب فرصة لتبادل نظـرات الحب الاول خـلال رحـلات الاتوبيس الطـويلة ٠٠

واخترعت الدراجات وبدأت الفتيات فى الظهور مع الشبان وكن يركبن خلفهم الدراجات ويخرجون الى رحلات خلوية ٠٠ أو يجلسون معا فى المقاهى ٠٠ وانتشرت حفلات الموسيقى ٠٠ وظهرت موضة الشنب بين الرجال ٠ كانت لهم عناية خاصة به واحيانا يضعون عليه الشمع ٠٠ وكتب « موباسان » قصة عنوانها «الشنب » ٠٠ بطلتهـا تتغنى بجمـال شـنب حبيبها وتتحدث مع صديقتها عن فوائد الشنب اثناء ممارسة الحب ٠٠ ولم يعارض موباسان الشنب بل حبذه أيضا فوق شفاه المرأة ٠

« كانت ظلال شنب فوق شفتيها تجعل الشخص يحلم ، كما يحلم بغابة جميلة عندما يرى صحبة زهور فوق منضدة »٠

وكانت بداية القـــرن العشرين حتى الحـرب العـــالميه الاولى امتدادا غير محسوس للقرن التاسع عشروعبادته للشهرة

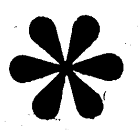
ونظرته للمرأة على انها مجرد شيء • وانتشرت الدعارة والاجهاض •• فكان عدد المواليد يساوى عدد الذين يجهضون وانتشر الأدب الرخيص • وفى سنة ١٩١٢ قبض البوليس على ستة آلاف كيلو من كتب الادب الرخيص •• وفى ربيع ١٩١٤ ظهرت النساء عاريات على مسارح باريس وتلك الفترة التى كانت قبل الحرب عرفت بالعصر الجميل • وبعد الحرب واجه الحب ازمة ••





الحب

الحر



أكثر من مليون ونصف مليون من الرجال قتلوا فى الحرب العالمية الاولى والباقون كانوا متوترين ويريدون النسيان .
وجاب الامريكان معهم موسيقى الجاز والزنوج وحفلات الكوكتيل لطبقة غنية جديدة ظهرت فى العاصمة الفرنسية . وأصبحت النساء أكثر تحررا . لكن الحب واجه ازمة . فقد طغت اللذة الجنسية على العاطفة الروحية .

وظهر الكاتب « فكتور مارجريت » ونادى بالحب الحر الذى لا يتقيد بالزواج .

وقال انه يضع حدا للجرائم العاطفية والغيرة ، فالحرية فى الحب هى أول خطوة لنقائه .. وكانت الرواية التى كتبها ١٩٢٢ ووضع فيها آراه قد أحدثت ضجة كبيرة وكان توزيعها مرتفعا .. وهى رواية « المرأة الولد » وجعل بطلتها فتاة حرة تتصرف حسب تعليمها وتفكيرها .. فقد أخذت قسطا كبيرا من التعليم وكانت تحضر الحفلات .. وعندما أحبت أعطت نفسها لحبيبها قبل ان تتزوجه وبعد الزواج بفترة اكتشفت خيانته مع امرأة أخرى .. فتركته وقررت أن تنتقم من كل الرجال فكانت تمارس الجنس مع الذى يعجبها ثم تتركه .

وانجبت طفلا واحتفظت به معها لتربيته ·· واستمرت حياتها على هذه الصورة الى ان قابلت رجلا يؤمن بحرية المرأة مثل الرجل وكان حبها الكبير وتزوجته ·

وقد أظهرت الرواية صورة جديدة للمرأة وهوجمت من الكنيسة والرجال ·· وبالرغم من الضجة التى حدثت الا ان الرواية لم تهز أساس المجتمع ولم تساعد المرأة فى صراعها على نيل حقوقها · فقد اجتمع مجلس الشيوخ يوم ظهور الكتاب ورفض طلب المرأة فى حق التصويت ··وهدد المحامون بالاستقالة عندما اختيرت زميلة لهم فى أحد مؤتمراتهم· ورفض الصحفيون اشتراك الصحفيات فى ناديهم ·· وهوجمت الطالبات فى الجامعه من زملائهن ·· واهمل الحب تماما فى هذا الصراع الصبيانى الذى بدأه الرجل ·

لكن الأمل ظهر مرة اخرى فى الثلاثينيات فهدأ الصراع حول حرية المرأة واشتراكها فى الحياة الاجتماعية والعملية لانها بدأت بالفعل تأخذ مكانها ·· واختفت موضة الملابس المعقدة وتسريحات الشعر اصبحت بسيطة ·· اختفت صورة المرأة « الوزة » خلال الحربين العالميتين ، وارتقى الحب عندما أصبحت المرأة لا تعتمد اقتصاديا على الرجل واصبحت تختار بحرية دون ضغوط ملزمة ·· وانتهت تقريبا الفجوة التى كانت بين الحب والزواج فلم يعودا منفصلين كما كانا من قبل· وأصبح تعارف الجنسين قبل الزواج شيئا عاديا ·· وقلت نسبة الزيجات التقليدية · وقد كتب « أندريه موروا » عن الصداقة الهادئة التى تتحول الى حب ثم الى زواج ·· فالصداقة والحب أصبحا عماد الزواج الصحيح ·· ونوقشت هذه النظرة الجديدة فى الصحافة والمجتمعات ·

وظهرت الآراء الحرة فى الحب وحريته··«سيمون دى بفوار» قالت « ان كلا من طرفى الحب واع حر مسئول فليس فى

الحب حاكم ومحكوم • بل هو مشاركه فعالة تتم بين « اثنين » •

وقد جعل « جان بول سارتر » الحب صراعا مستمرا بين حريتين بدلا من أن يجعل منه مشاركة فعالة بين ارادتين •

« ان المشكلة فى الحب ليست فى الوفاء أو التفاوت بين الجنسين وانما هى مشكلة الصراع بين حريتين » •

« والحب فى الحقيقة ليس نزوعا نحو الامتلاك الجسدى بل هو رغبة فى الاستيلاء على حرية الاخر من حيث هى حرية •• فان ما يريد الحب امتلاكه انما هو الشعور أو الضمير لا الجسد أو الحقيقة المادية •• وكل استعباد للمحبوب سواء كان ذلك بالقانون « الزواج » أم بأية وسيلة أخرى ، لابد من ان يفضى الى القضاء على الحب • وحتى حين يشعر المحب بأن عشيقته هى من الخضوع له بحيث انها لايمكن ان تفلت منه أو ان تنأى عنه فان هذا الشعور نفسه قد يكون هو الكفيل بالقضاء على حبه لها •• والسبب فى ذلك ان مثل هذه العشيقة انما تكون عندئذ قد كفت عن أن تكون «حرية» فى حين أن بيت القصيد فى الحب هو ان يمتلك المرء حرية مامن حيث هى حرية»

واذا كان الزواج من شأنه أن يضمن للطرفين نوعا من الامن أو الطمأنينة فذلك لانه لايمثل فى رأى سارتر اكثر من مجرد تلاحق موضوعين فى عالم مادى ثابت •• أما الحب فانه عبارة عن اختيار مستمر • بمعنى ان العاشق الذى يحب معشوقته انما يواصل حبها فى كل لحظة •

ويقول سارتر عن عدو المحبين أو « العزول » ! « المحبون يلتمسون الخلوة ليبعدوا عن عيون الغرباء لانهم يشعرون أن

ظهور العزول يقضي على الحب ٠٠ لكن خلوة المحبين على هذه الارض لاتتأتى الا في لحظات سريعة خاطفة ٠٠ ويصطنع العشاق والازواج الجدد شتى الحيل من أجل تحقيق هذه الخلوة ٠٠ لكن العزول لابد أن يظهر في الأفق » ٠٠ وهو يظهر في رواية سارتر « جلسة سرية » ، وجلسة سرية لاتدوم سوى ساعة واحده ٠ « وحتى اذا استطاع المحبان أن يحققا خلوتهما بالفعل فان هذا لن يضمن لهما حق الخلوة ٠٠ وآية ذلك انه حتى اذا لم يكن هناك شخص يرانا فاننا مع ذلك نوجد بالقياس الى جميع الضمائر الاخرى ونحن نشعر بأننا نوجد بالنسبة الى هذه الضمائر ٠ واذنفلا حيلة لنا في القضاء على العزول مادام الاخرون موجودين دائما من حولنا ٠٠ ان لم يكن في الواقع ففي شعورنا نفسه » ٠

أما أسباب الفشل في الحب فان سارتر يرجعها الى ثلاثة عوامل رئيسية ٠

« الحب في صميمه نوع من الخداع الذاتي لانه يتضمن حركة أو تسلسلا الى مالا نهاية ٠٠ مادمت أنا احب فانني اريد ان يحبني الآخر ، وبالتالى فانني أريد ان يريد الآخر أن أحبه ٠٠ وهكذا ٠٠ وليس السبب في فشل الحب هو نقص الكائن المحبوب أو ضعفه او عدم جدارته ٠ بل هو ادراكنا الضمني لاستحالة تحقق المثل الأعلى الذى يهدف اليه الحب ٠٠ وكلما زاد حب الاخر الى زاد فقداني لوجودى وبالتالى زاد ارتدادى الى مسئولياتي الخاصة والى قدرتي الخاصة على الوجود ٠٠ والسبب الثاني ان استيقاظ الاخر ممكن في كل لحظة ، ومن ثم فان في استطاعة هذا الاخر بين لحظة واخرى أن يحيلني الى مجرد موضوع ٠

وهذا هو السبب في أن المحب يحيا دائما في حالة عدم اطمئنان ٠٠ وأخيرا الحب يريد دائما ان يكون مطلقا ٠

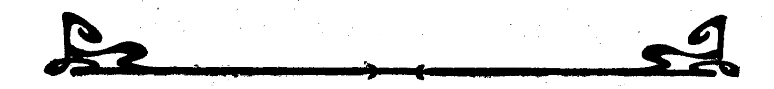
وقد اخذ الحب الحر مكانه في القرن العشرين ٠٠وهذا سنجده في حديث آخر عن عصرنا ٠

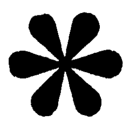
انتقلنا فى رحلة الحب عبر السنين فى أوربا من الاسبان الناريين الذين كان حبهم مثل فورة البراكين ، الى الفرنسيين المعتدلين « الى حد ما » الذين امتزج حبهم بالثقافة والسياسة ٠٠ فكيف كان الحب عند قوم اشتهروا بالبرود لنذهب فى رحلتنا الى بلاد الانجليز ٠



في بلاد

الانجليز





تقول أخبار وحكايات تاريخ الحب عند الانجليز فى العصور الوسطى ان النساء كن اكثر عاطفية من الرجال • ويبدو أن حكاية برود الرجل الانجليزى حقيقة من قديم الزمن•• كانت المرأة اكثر جرأة من الرجل وكانت فى أحيان كثـــيرة تكون البادئة فى المغازله وفى الطلب فتدعوه الى مغازلتها وقد سأل احد الفرسان الفتاة التى لاحظ انها تطارده • ماذا يستطيع ان يفعله لها فقالت ــ اريدك زوجا لى •

قال ــ ياآنستى الجميلة أشكرك • لكنى قــررت ألا أكون زوجا •

قالت ــ اذن أيهــا الفارس الجميل هل يمــكن أن تــكون عشيقى ؟

قال ــ ليرحمنى الرب • كيف أرد جميل أخيك وابيك بهذا العمل الشرير ••

قالت ــ يا للخسارة • لابد ان اموت بحبك •

وحاول أن يواسيها لكنه عرض عليها عرضا قاسيا وهو أن يعطيها منحة سنوية قدرها ألف جنيــه لها ولورثتها اذا هى وجدت لقلبها فارسا أحسن منــه تتزوجه • فأغمى عليهــا من شدة الصدمة ونقلت مريضة الى ان فارقت الحياة •

فى ذلك الوقت كان على المحبين ان يكونوا حذرين فى التعامل مع بعضهم البعض. كان الوعد الشفهى بالزواج يحتم على الاثنين الالتزام به .. واذا أهدى رجل لفتاة خاتما وقبلته فمعنى ذلك انه حدث عقد بينهما لكن الزواج كان يناقش بطريقة تجارية باردة .

فاذا اشترى شاب فتاة فستبقى الصفقة مادامت لا تخونه. أما اذا خانته فيردها الى بيت أهلها على أن يرد اليه مادفعه . واذا خان رجل حر صديقا له حرا مع زوجته .. فعليه أن يشترى لصديقه زوجة أخرى بنقوده .. واذا حدث أن أرادت الزوجة الانفصال وأخذ اطفالها فلها الحق فى نصف الممتلكات أما اذا أراد الزوج الاحتفاظ بالاطفال فهى تأخذ مثل نصيب الطفل فى الممتلكات .

وفى عصور بعيدة غابرة كانت العروس تحلق شعرها قبل زفافها علامة على قبولها للعبودية . وفى ليلة الزفاف كان العريس يأخذ حذاء العروس ويلمس به عنقها ورأسها فى ضربات خفيفة .. ثم يضع الحذاء فوق الوسادة فى ليلة الزفاف .

وعندما جاء عصر الملكة «اليزابيث» فتحت آفاق جديدة للرجل الانجليزى جعلته يقترب من الجنس الآخر . وينوب شىء من بروده . وهذه الآفاق كانت فى القصص الايطالية المترجمة وفى السفر الى الخارج . وقد كتب «توماس ناش » « عندما يعود الرجل الانجليزى من ايطاليا يكون وجهه مبتسما ويصبح سريع النكتة ومنطلقا فى أحاديثه . ويرتدى الثياب الزاهية ويبحث عن الحب ويكون أحسن من يمارسه . أما فكرة الزواج فيبعدها عن رأسه » والملكة « اليزابيث » كانت نموذجا فريدا .. قيل انها كانت كثيرة المغامرات العاطفية . ومن المحتمل انها كانت «باردة» واعتقدت انها عاقر .. فهل كان كبرياؤها يمنعها أن تظهر للعالم انها عاقر . وهل لهذا فضلت دور العذراء .. وعندما طلب منها البرلمان ان تتزوج قالت « لقد

اخترت فعلا زوجا اسمه مملكة بريطانيا وهذا يرضى عظمتى واسمى • وعندما سأموت سيكتب على قبرى : هنـا ترقـد اليزابيث التى حكمت عذراء وماتت عذراء » •• وكانت تحب المداعبة وكثيرا ماكانت تلاطف وتداعب الرجل الذى يعجبها أمام حاشيتها وكان هذا يسبب له ارتباكا وحرجا •

وقلق المتزمتون فى ذلك العصر من تقارب الجنسين وهاجموا الرقص «وان كان الرقص يبعث على الرغبة فى الحب فهو حب شهوانى ، واذا كانوا يختارون زوجاتهم من الرقص فهذا يدل على اختيار سيء •• فأى خطوة فى رقصة يمكن أن تقود الى الجحيم » •

وبالرغم من هذا التقارب والتغير الا أن معظم الآباء كانوا يزوجون أبناءهم وهم صغار •• وأحيانا كان يتم عقد الزواج بين أطفال فى الخامسة أو العاشرة ثم يذهب كل منهما ليعيش مع والديه • ويلتقى الاثنان ليلعبا معا الى ان تأتى السـن المناسبة ليعيشا معا •

وكتب « توماس بيكون » ينقد هذه الطريقة فى الزواج •

« عندما يصلون الى سن النضوج ويلتقون بأشخاص كان يمكنهم أن يجدوا معهم التوافق والحب • تبدأ الكراهية بين الازواج والزوجات ويلعنون الآباء الذين زوجوهم وهم لايدرون ويسعون للطلاق واذا فشـلوا فى الحصـول عليـه يعيشـون ساخطين متغطرسين وتصبح بيوتهم جحيما »

ومع ذلك كان الابناء أحيانا يختارون بالرغم من معارضـة الاهل • فقد أحب لورد « كومبتون » ابنة عمدة لندن الوحيدة ورفض الاب ان يزوجها له فتنكر فى زى خباز وحمل حبيبته فى سلة وهربا معا • ورفض الاب الاعتراف بالزواج • وذهبت الابنة اليه ليصفح عنهـا فسـجنها •• واسـتخدم اللـورد سلطته واتهم العمدة بالقسوة فى معاملته لابنته ووضـع فى

السجن ٠ ولما افرج عنه بقى على عناده ورفض الاعتراف بالزواج ٠ واخيرا وضعت المشكلة أمام الملكة « اليزابيث » لتجد حلا لها ٠ وكانت الزوجة قد انجبت طفلا ٠٠ فتدخلت الملكة وسألت العمدة أن يذهب الى حفل تعميد طفل ويتجسس لها لانها تريد أن تعرف شيئا عن والديه ٠ ولما ذهب واقترب من الطفل ليسأل عن اسمه ظهر والداه وركعا عند قدميه وسألاه ان يصفح عنهما ٠ واخيرا ذهب عناده امام ابتسامة الطفل ٠

أما سير « توماس مور » فكان تصرفه غريبا عندما طلب منه سير « وليام روبير » أن يزوجه احدى بناته ٠ فجعل « توماس مور » ابنتيه تستلقيان عاريتين فى فراش تغطيهما ملاءة ٠ وعندما دخل سير « وليام » الحجرة أزاح الغطاء وتقلبت الفتاتان على الجانبين ، وربت على التى اعجبته وكانت الفكرة بلا شك مأخوذة من « اليوتوبيا » التى كتبها « مور » والتى اقترح فيها أن الفتاة والشاب لابد أن يظهرا عرايا تماما أمام بعضهما البعض قبل زواجهما وطالب بوضع قانون بهذا ٠

وسير « توماس مور » تزوج مرتين ٠ قيل انه كان يفضل اخت زوجته الاولى الصغيرة لكنه تزوج الكبيرة حتى لا يحزنها ٠٠ وقد علمها وشكلها حسب مزاجه ٠ لقنها العلوم الادبية ودربها على كل أنواع الموسيقى ٠ لكنها ماتت بعد ان اصبحت شريكة ممتازة وتركت له عددا من الاطفال ٠٠ وبدأ من جديد مع زوجة ثانية ٠ قيل انها كانت متغطرسة وقاسية ٠٠ فهذب من طباعها وروضها حتى جعلها تعزف الموسيقى ٠ وعندما يعود الى البيت يجعلها تحدثه عن تدريباتها وماذا فعلت فى يومها ٠٠ ولابد انه قد نقل هذا الى مقدمة « اليوتوبيا » ٠

« عندما اعود الى بيتى لابد أن اتحدث مع زوجتى ٠٠ واتسامر مع اطفالى واثرثر مع خدمى ٠٠ كل هذا اعتبره عملا

لانه لابد ان يعمل فمن الضرورة ان تفعل هـــذا الا اذا كنت تريد أن تكون غريبا فى بيتك ٠ لابد ان يكون الفرد محبوبا بقدر الامكان من الذين يعيش معهم ٠ لكن لا تفسدهم بالطيبة فيصبحوا اسيادك بدلا من أن يكونوا خدمك » ٠

ويبدو أن الحب لم يجد نموه الطبيعى فى الحياة الروتينية كل يوم ٠٠ وكانوا يجدون صعوبة الاســـتقرار فى الحيـاة العائلية ٠ وظهرت كتابات النصائح ٠ كتب « أدموند تلنى » فى « زهرة الصداقة » حيث كان يسمي الزواج ٠ « العشب الرقيق الذى يغذى هذه الزهرة الحساسة هو حسن الحديث ٠ المداعبة ٠ الحكمة فى ابداء الرأى ٠ المثابرة على طلبات البيت ٠٠ والاهتمام بتعليم الاطفال ٠٠ عـــدم الغيرة ٠٠ والزوجة لابد أن تكون مرحة فى الفـــراش ٠٠ لكن يبدو أن لديهن ميلاً وضيعا الى التنكيد على ازواجهن فى وقت يجب ان يكن مشغولات فيه بشيء آخر ٠ او انهن يجدن انه الوقت الذى يكن فيه اكبر قوة وتأثيرا » ٠





مدرسة كيوبيد

*

قال احد عشاق القرن السابع عشر :

« الحب يبعث على الادراك الجميل ، على النظافة ، على البهجة والراحه ، كل مباهج حياتنا مبعثها الحب ، الفنانون والعلماء ألهمهم الحب الاختراع والابداع ·· الحب يبعث على الشجاعة · على تهذيب الخلق · وعندما تمس الرجل عصا الحب السحرية فهو يعتنى بنفسه وبملابسه · يمشط شعره وينظم سوالفه· يعطر قفازه · يسير كأنه يخطو فوق بيض »

وظهر كتاب مدرسة الحب أو « مدرسة كيوبيد » ومما يذكر فيه ·· « من الخطأ أن تعترف بحبك مباشرة للفتـــاة التى تحبها · لن تنال حبها بهذه الطريقة ·· ستظن انك تجهل لغة كيوبيد ·· قل كلمات الحب واترك فى يدها المفاتيح ·· فى كثير من الاحيان يلاقى الاهمال الطرف الذى يحب أكثر ، من الطرف الذى يحب اقل · فالمحب يجب عليه ان يستعمل لغة الحب بالتلميح ليبعث على العاطفة لدى الطرف الثانى حتى تكون العاطفة متساوية ·· »

وكتب « جيرمي تايلور » في كتاب « خاتم الزواج » ٠٠ « أن المرأة تغامر أكثر من الرجل في الزواج فهي لاتستطيع أن تنفصل عن زوج شرير او سيء ٠ ومادام لايسمح بالطلاق فهي لاتجد من تشكو له سوى الرب ٠ » وقال ٠٠ « القلوب تتآلف بين الازواج بالثقة المتبادلة ٠ واذا كان الرجل يحكم بالسطوة فالمرأة تحكمه بالحب ٠٠ واذا كان الرجل يعامل زوجته على اسس الصداقة وليس الاستبداد فسيعطيها الامان والثقة ٠٠ وفي هذه الحالة ستعطيه هي الحنان ٠٠ »

وخاتم الزواج ليس حلية بقدر ماهو رمز لتوثيق الحب بين قلبين ٠٠ ووجدت معتقدات وخرافات ملتصقة بهذا الرمز ٠٠ فخاتم الزواج في شكله الدائري بلا نهاية ٠٠ يجعل الحب المتبادل بلا نهاية ٠٠ والاصبع الذي يوضع به الخاتم ٠٠ وهو الاصبع الرابع في اليد اليسرى ، يوجد به وريد من الدم يصل الى القلب ويسمى وريد الحب «حسب قول الذين شرحوا الجسد الانساني » ٠٠ لذلك يدل وضع خاتم الزواج في هذا الاصبع انه مادام كل واحد أعطى يده للآخر فهو يعطيه قلبه أيضا ٠٠

وفي ذلك العصر عندما قسمت بريطانيا الحروب الاهلية ٠ هذه الفترات التي تظهر فيها بطولات وتضحيات يساعد على ظهورها الحب الحقيقي والمشاركة ٠٠ فكانت الزوجة أو الحبيبة ترافق رجلها الى مكان الحرب ، تقاسي معه من البرد والتعب والجوع وقد عرفت قصة حب بدأت في تلك الفترة عرفت من تبادل خطابات بين « دروثي أوزبورن» وحبيبها ثم زوجها سير «وليم تمبل» ٠٠ كانت الخطابات بين اثنين محبين مثقفين ٠٠ تقابلا خلال سنوات الحرب الاهلية ٠٠ كانت دروثي في صحبة أبيها وكانت مقابلاتهما سريعة يحوطها الانفعال والتوتر ٠ وفترة

التقاء المحبين تمر سريعة حتى وان كانت وسط حرب ،وافترق الحبيبان ، ذهبت دروثى مع أبيهـا الى ريف انجلترا وبقيت ترعاه فى مرضه بعد وفاة أمها ، أما حبيبها فقد منعه أبوه من التسرع فى الزواج فأرسله الى هولندا ، ومن هناك أرسـل رسالة واحدة الى دروثى وظهر منها انه لم يكن بينهما تفاهم واضح ولا عاطفة حب قوية ، وظلت فترة لاتدرى عنه شيئا .
وقد ضايقها أخوها فى تلك الفترة بحديثه المستمر عن ضرورة زواجها وكان يحضر لها الراغبين فى الزواج منها وهى ترفضهم فكانت لاتريد أن تقضى على الشعور الذى فى قلبها وتريد أن تتأكد منه ، ولما عاد حبيبها الى لندن أرسل لها خطابا يداعبها فيه ويسألها اذا كانت مازالت حـــرة ، فردت عليه بخطاب متلهف ، «ماذا كان يفعل فى هولندا ، من الذى قابله هناك حتى يبعده عنها » وذهب وليم الى بيتها الريفى ليراها ، وبعد تلك المقابلة بدأت بينهما مراسلة منتظمة لمدة سنتين ، كانت خطاباتهما مليئة بكل ما يفعله كل منهما ، وكل ما يقرؤه كل منهما يلخصه للآخر خصوصا القصص العاطفيـــــة ، حتى مشاجرات المحبين كانت بينهما فى المراسلة ، وقد شـعرت دروثى لفترة بكآبة ويأس من حياتها الريفية وتمريضها لأبيها وشعرت بتشاؤم من مستقبل علاقتهما فأرسلت له تسأله ان ينساها ، فرد عليها انه سينتحر اذا تركتـه ، وردت عليـه بسرعة تقول انها لن تفعل ، وفى أحد خطاباتها كتبت :

« كثيرون يسيئون استعمال كلمة الحب وقليلون يفهمونه ويزاولونه فى الحياة .. وهذا يمكن ان يثير الشك فيما اذا كان يوجد هذا الشىء فى العالم أم لايوجد ، والذين لايجدونه فى أنفسهم من الصعب ان يصدقوه فى مكان آخر . »

وسألها وليم اذا كانت تحبه أم لا ، فردت عليه بأنها تحبه وستبقى دائما تحبه بالرغم من خوفها من المجتمع أن يتهمها انها دخلت الزواج عن طريق الحب ٠

وأخيرا تزوج الحبيبان ، لقد كانت دروثى لها أفكار محددة عن نوع الزواج الذى تريده ومن حسن حظها انها وجدت ماأرادته فى حبيبها ٠

قالت « هناك عناصر أساسية لابد من توافرها فى الرجل الذى سأتزوجه ،أولا أن تتفق امزجتنا ، وأن تكون تربيته مثل تربيتى ٠ ويكون قد تعود على نوع الصحبة التى تعودتها ٠ لاأحب ان يكون مجردرجل ريفى لايفهم الا فى الصقوروالكلاب ويهتم بها اكثر من زوجته ٠٠ » وقد كررت كثيرا فى خطاباتها أن زواج الحب مخاطرة ومع ذلك لم تعتقد أن الحب يأتى بعد الزواج ، وفى خطاباتها أيضا تحدثت عن زيجات عصرها حيث كانت تتم خطوبة الفتاة للفتى منذ طفولتهما « نادرا ماينمو الحب بينهما ، فالكراهية هى التى تنمو بدلا من الحب ، واذا ترك لهما الخيار ينفصلان فى الكبر ٠» واعتقدت دروثى انه من الافضل أن يعيش الطرفان اللذان قررا الزواج لفترة معا كتجربة يعرف كل منهما طباع الآخر فاذا توافقت الطباع تزوجا ، لكن من الذى يقوم بهذه التجربة ٠٠

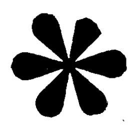
وفى كل عصر من عصور الانجليز نجد المرأة اكثر شجاعة من الرجل وتكون البادئة والطالبة ، ومن قصص ذلك العصر ان البيوريتانى « وتشارد باكستر » قرر ألا يتزوج لانه اعتقد أن الزواج سيعطله عن عمله ، ولما اصبح فى الخامسة والاربعين أعجبت به « مرجريت شالتون » وقررت ان تتزوجه ، وكان عليها أن تقوم هى بالطلب ، اصطحبت صديقة لها وذهبت اليه فى مكتبه ، دخلت الصديقة اولا وحدثته عن رغبة مرجريت

فى الزواج منه ، فاعترض وقال ان اهتمامه بعمله ســوف لايجعله زوجا ناجحا ، وفى تلك اللحظــة دخلت مرجريت وركعت أمامه وقالت له انها لن تطالبه بعــواطف ومطالب شهوانية دنيوية ، فهى تريد تبادل أحاديث ناضجة مع رجل ناضج · ويكون رفيقها فى الحياة · واقتنع بحديثها · لـكنه كتب فى عقد الزواج أنها لن تطالبه بوقته اذا استدعاه عمله·





البحر والمرأة المغامرة



« سيدتي ·· إنت لاتصدقين اني أحبـــك ·· لاتتظاهرى بالتجاهل ·· اذا كنت لاتصدقين لسانى فاسـألى عينى ·· ·· اسألى عينيك فستجدين فيهما سحرا وسترينه منعكسا على عينى ·· تذكرى ماحدث فى الليلة الماضية ·· كانت على الاقل قبلة من محب ·· بشوقها · بحرارتها · بحلاوتها ·· بالرعشة التى سرت فى اطرافى · بالاضـطراب الـكبير الذى سرى خلالى »

« سيدتى ·· لن آتعبك بعواطفى قبل أن اعرف كيف ستقابلين هذه العواطف ·· لاريد ان اقول لك اننى مستعد للموت من أجلك ·· لكنى أفضل ان اقول ·· يسعدنى ان اواصل الحياة معك ·· انت جميلة ومرحة · ويمكنك ان توجهى هذه الصفات لسعادتى او لتعاستى · أملى الوحيـــد فى الحب أن يكـون متبادلا » ··

من فقرات هذين الخطابين نحسب ان نساء القـرن الثامن عشر الانجليزيات كن لامباليـات او باردات أو يأخذن الدور السلبى ·· لكن عندما ينتقل بنا تاريخ الحب الى حياة البحر والسفن نجد ان المرأة لم تكن سلبية فى تلك الفترة بل كانت

أكثر من جريئة ·· واعتبر الانجليز ان حياة البحر والسفن لعبت دورا هاما فى الحب ·· فالوقت الطويل الذى كان يقطعه المسافرون على ظهر السفن ساعد على تقارب الجنسين ·· وبدأت قصص حب بالرغم من أن الرحلات كانت متعبة والسفن غير مريحة ·· وقصص الحب الملتصقة بالبحر بدأت ايضا على شواطىء انجلترا ·· أشهرها قصة « مرجريت كاتشبول » احدى بطلات الحب فى تاريخ الانجليز ·· والتى اعتبرت قصتها ضمن الكلاسيكيات ·· كتبها « ريف رتشارد كوبولد » فى كتاب بعنوان « تاريخ حياة مرجريت كاتشبول » وكاتب القصة كان من الاسرة التى عملت فى خدمتها مرجريت ··

وقد بدأت حياتها فى كوخ متواضع وانتهت فى منزل حاكم استراليا · · كان أبوها عاملا ·· وهى عملت فى خدمة أسرة « كوبولد » ·· واحبت صبيا لصانع قوارب فى المدينة الصغيرة على الشاطىء ·· كان شابا مندفعا وحبه للبحر والمخاطرة والمغامرة قاده الى حتفه وقاد مرجريت الى النفى وراء البحار · فقد انضم الى عصابة تهريب بضائع ورجته مرجريت كثيرا ان يترك العصابة ويعمل عملا شريفا · وبلا فائدة كان رجاؤها ·· وفى تلك الفترة أحبها مزارع وتودد اليها ·· ولما يئس من اصرارها على رفضه هاجر الى استراليا ·· وهناك عمل وجاهد الى ان كون لنفسه اسما ومركزا ·· اما مرجريت فقد حكم عليها بالنفى مدى الحياة بسبب مساعدتها لحبيبها على الهرب من السجن · بعدها كانا سيهربان معا على قارب الى هولندا ويتزوجان ·· وقبل تنفيذهما للخطة أطلق أحد حراس السجن – وكان يتعقبهما – رصاصة على حبيبها فقتلته فى الحال ونفيت مرجريت الى استراليا ·· عاشت سنين تعمل فى مصحة لليتامى وثقفت نفسها · وفى سيدنى قابلت ابن المزارع الذى كان يحبها وهاجر بسببها والذى اصبح حاكما للمدينة ·· وقبل توبتها وتزوجها ··

وفتيات أخريات ذهبن وراء الرجال الذين أحببنهم عبـــر البحار ٠٠ وذهبن الى حد الانضمام للبحرية ٠٠ ويتعجب الفرد كيف استطعن اخفاء جنسهن وسط مجتمع البحرية الجاف ٠٠ ولم تكن هناك فقط نساء فى صورة رجال فى البحـــرية ٠٠ كانت توجد نساء قراصنه ايضا ٠٠وقصة«آن بونى»و«مارى

ريد » مثل قصص المغامرات الخيالية ٠٠ اجتمعت المرأتان على سفينة القرصان « راخام » وعملتا معه فى السلب والنهب ٠٠ لكن كيف كان اجتماع الثلاثة ٠٠

كابتن « راخام » شعر بالغيرة يوما وهى عاطفة شـــاذة بالنسبة لقرصان جرئ كان قائدا للقراصنة الذين ازعجوا جزر الهند الغربية لسنين طويلة ٠٠ شعر القرصان بالغيرة على مساعده ٠٠ وكان لا أحد يعرف غيره على السـفينة أن مساعده الجرئ امرأة هى « آن بونى » ٠٠ أما سبب الغيرة فقد كان بعد ان استولوا على سفينة تجارية وأسروا قائدها ورجاله وكان بينهم شاب انجليزى قوى البنية ٠٠ ولاحـــظ « راخام » أعجاب « آن بونى » به بطريقة نظراتها اليـــــه ومعاملتها له ٠٠ ولم يظهر غيظه أمام الرجال فاســـتمر فى ملاحظة الاثنين ٠٠ وهدأت نفسه قليلا عندما وجـد الشـاب يتجنب « آن » ٠ وذات ليلة عندما كان يتحـدث مـع « آن » مساعده ، جاء الشاب الانجليزى وكشف عن شخصيته ومـا كان الا امرأة «مارى ريد» وكشفت « آن » عن شخصيتهـــا ٠٠ وتبادلت المرأتان نظرات الدهشة بينما تمتع « راخـــام » بضحكة من قلبه ٠٠ ونشأت صداقة بين المرأتين وعملتا مع الكابتن ٠٠ لكن أى ظروف جعلت المرأتين تهيمان بالبحـــر ومغامراته ؟

« آن بونى » من أصل ايرلنـدى ٠٠ هاجـر والدها الى الولايات المتحدة ٠٠ واراد ان يزوجهـــا من رجــــل هادئ يمكنها الاعتماد عليه ولم يحدث ما اراده ٠٠ فقد أحبت بحارا وسيما وتزوجا سرا ٠٠ وذهب الاثنان الى البحر ٠٠ وتنكرت فى زى رجل حتى تستطيع ان ترافق زوجهـــا فى رحلاته

البحرية التجارية ·· كان ربحهما قليلا واقترحت « آن » أن ينضما الى قوة من القراصنة ووافق الزوج ·· لكن اتضح انه ليس جريئا فى اعمال البحر كما يبدو عليه فى البر ·· وبمقارنته بقائد القراصنة « راخام » يبدو فى نعومة انثى ·· وتحولت عواطف آن الى القائد الشجاع الذى كان يمثل رجل احلامها ·· مخاطر ·· مرح ·· وابتعد الزوج وظلت « آن » فى صحبة « راخام » متنكرة فى زى رجل · تعيش حياة البحارة الخشنة وتتصرف مثلهم ··

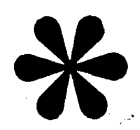
أما « مارى ريد » فقد ارتدت ثياب صبى منذ طفولتها ·· البستها أمها ثياب اخيها الذى مات حتى تستمر وصية الجدة وهى اعطاء ثروتها للولد ·· ومع ذلك لم تحصل على الميراث ·· وكان جدها كابتن فى البحرية ·· وفى سن الثالثة عشرة وهى مازالت فى ثياب الصبى انضمت للبحرية ·· وعاشت سنوات فيها تطبعت بطباع البحارة ولم يعرف احد من زملائها شيئا عن حقيقة جنسها ·· وأحبت واحدا منهم ولم تحتمل استمرار تنكرها امامه فافصحت له عن شخصيتها واعترفت بحبها له ·· وبالرغم من حريتها وحياة الرجال التى عاشتها كانت فى اعماقها محافظة مثل فتاة القرن الثامن عشر فرفضت الاستسلام له ·· واحبها بجنون واقترح الزواج ·· وقد كان اعلان الزواج حادثا اهتزت له البحرية ·وفصل الاثنان من الخدمة بعد ان منحا مكافأة كبيرة لتساعدهم على حياة جديدة ·· لكن الزوج مات بعد سنة من الزواج ·· ولم تسطع مارى الحياة على الأرض ·· فعادت الى ملابسها الرجالى وانضمت الى العمل على سفينة تجارية ·· وحدث ان هوجمت من القراصنة ·· ثم انضمت لهم ·· وكان ثانى حب فى حياة « مارى » لأحد رجال « راخام » وعقد الكابتن قرانهما سرا فى كابينته ·· لكن سعادتها الثانية فى الحب لم تدم طويلا فكان العالم قد ضاق من « راخام » وعصابته ·· وتعقبتهم السلطات بقوارب مسلحة وبعد فترة طويلة من التعقب تمكنوا من القبض عليهم عندما كانت سفينتهم راسية على ساحل «جاميكا» ·· وكانت معركة دامية اشتركت فيها المرأتان وقبضوا على

معظمهم وأخلوهم للمحاكمة ·· وقد دافعت مارى عن زوجها ·· وقالت للمحكمة انه أرغم على الانضمام لهم وفعلا افرج عنه اما هى فقد حكم عليها بالاعدام ·· وأجل اعدامها بسبب حملها · وماتت فى السجن بالحمى ·· أما « آن بونى » فقد اختفت بعد مشادة مع « راخام » الذى حكم عليه بالاعدام بالسلاسل ·





موسيقى تحت نافذة الحبيبة



من الجمال والغندرة الى عصر البخار ٠٠ هكذا يمكن ان نسمى تغير الحياة فى القرن التاسع عشر ٠

فى أوائل ذلك العصر كان لبعض العشاق تصرفات غريبة ٠ فقد أعطى احدهم خمسمائة جنيه استرلينى لقائد اوركسترا حتى يعزف طول الشتاء تحت نافذة حبيبته ، وتعجب الموسيقار الانجليزى من ذلك المحب ٠٠ فماذا يستفيد من ايقاظ حبيبته ٠٠ وانجلترا ليست بالمكان الذى يسمح طقسه بهذا العمـل المسائى ٠٠ لكن المبلغ كان مغريا ونفذ ما اراده ٠

وازدهر الحب فى الشعر والروايات وفى الحياة عامــة ٠ ولا عجب فى هذا اذا وجدنا ان الملكة فكتوريا نفسها احبت واختارت زوجها عن حب ٠٠ فبعد سنتين من توليها الحــكم كانت تجلس ويدها فى يد امير المانى فى حجرة صالونها ٠

وقال « ألبرت » بعد ذلك لجدته : « لقد صرحت لى بذكاء نابع عن حب أننى كسبت قلبها ٠٠ وانها ستكون سعيدة اذا شاركتها حياتها وقمت بهذه التضحية » ٠ وقد سألت احدى الدوقات الملكة ٠ الم تشعر بحرج وهى تعلن هذا أمام الوزراء ٠ فقالت لها الملكة ٠ « نعم ٠ لكننى فعلت اكثر من هذا ٠ لقد طلبت الأمير البرت للزواج » ٠

وكانت حياة الشاعر « كيتس » القصيرة شعلة من الحب ٠ اعتقد ان المرأة مثل الطفل يفضل ان يعطيها قطعة من الحلوى على ان تتركه وشأنه لكنه غير رأيه بعد ان قابل «فانى براون» واحبها ٠ وقد كتب لهـــا يقول « حبى لك جعلنى أنانيا ٠ لا أستطيع ان اعيش بدونك ٠٠ انسى كل شيء الا انى أراك مرة ثانية ٠٠ كنت اتعجب كيف يموت الرجل شهيد العقيدة ٠٠ الآن استسلمت لهذه الفكرة ٠ واستطيع أن اكون شـــهيدا لعقيدتى ٠ الحب مذهبى استطيع أن اموت فى سبيله ٠ الحب مذهبى ٠ وانت عقيدتى الوحيدة »

وفى الروايات العاطفية كان الحب مشتعلا ٠٠ وقد كتب « دزرائيلى » فى « معبد هنرييتا » « فجأة تضم كائنا جميلا ٠ ويعتريك شعور جميل ٠ لابد ان يرتبط مصيرنا الى الابد ٠ هذه حبيبتى ٠٠ وهذا حب ٠ عاطفة رائعة وشعور رائع ٠ وشعاع من اللهيب فى قلب هذا الذى يحب ويكون محبوبا ٠ لاتمسه حوادث الأرض ولا ثورات الأمبراطورية ٠ ولا تغيير العقيدة ٠٠ كل شيء بالنسبة له يصبح مجرد ســحب فى ســماء عاصفة ٠ »

والحب آثر ايضا فى حياة العلماء ٠ وقد كتب « شـــارلز دارون » « ما اعتقده عن مزايا ومضار الزواج ٠ ضـــمن المزايا قال « الاطفال رفقاء دائمون واصــدقاء فى السـن الكبـيرة ودردشة المرأة تؤنس فى الليالى الوحيدة » ٠ وضمن المضار « ضياع مخيف للوقت ٠ واذا كـان عــدد الاطفـــال كثيرا فسيدفعونك الى الحصول على طعام لكل منهم وان تحارب فى المجتمع » ٠٠ لكنه عاد وقال عكس هذا ٠ « يا الهى ٠ انه لشيء غير محتمل ان يفكر الانسان فى تمضية حياته مثـــل نحلة عاملة ٠ تعمل ولا شيء بعد ذلك ٠ لا ، لا يمكن ان يحدث هذا ٠ تخيل انك تمضى كل أيامك وحيدا فى بيت قذر فى لندن ٠ وتخيل انك تعيش مع زوجة ناعمة تجلس فوق مقعد

وثير بجانب المدفأة وبجانبها كتب وربما موسيقى ٠ قارن هذا بذاك ٠٠ تزوج ٠ تزوج ٠ تزوج » وبعد سنة من كتابته هذه تقدم للزواج من قريبة له « اماودجود » ولم تكن واثقة من شعوره وكتبت لعمتها تصفه على انه اكثر رجل شفاف قابلته فى حياتها ٠ « هو عاطفى ولطيف مع والده واخوته ٠ دمث الخلق وله مميزات صغيرة تجعل الشخص سعيدا٠٠ فهو مثلا ليس سريع الغضب ويعامل الحيوانات بانسانية ٠ والشيء الحقيقى الذى لايعجبنى انه لايحب الذهاب الى المسرح لكنه يتحمل حضور الحفلات الموسيقية » وكان « دارون » يكتب لها اثناء فترة الخطوبة باستمرار ويسألها ان تمدينه وتجعلــه انسانا ٠ « أرجو ان تعلمينى انه يوجد فى الحياة سعادة أكبر من عمل نظريات وتجميع حقائق فى صمت ووحدة » ٠ وكان الزواج ناجحا وسعيدا ٠

« هكسلى » أيضا لم يصرفه بحثه العلمى عن الوقوع فى الحب ثم الزواج ٠ قابل زوجته « هنرييتا » فى نهاية حفلـة راقصة ، وعندما طلبها لتراقصه اعترض زوج اختها وقال أن الوقت متأخر ٠وقال هكسلى لها انهما سيتقابلان مرة ثانية وعليها ان تتذكر انها مرتبطة بالرقصة الاولى معه ٠ بعد ذلك تقابلا كثيرا ٠ ثم تزوجا ٠ وعاشا حياة يشوبها الجو العلمى وقد سعدت هنرييتا بهــذا ٠٠ فمن مزايا زوجــات العصر الفيكتورى انهن كن ينــدمجن فى حياة أزواجهن ويهــوين هواياتهم ٠ وكتب « هكسلى » يوما لصديق :

« الحب فتح لى آفاقا من قدسية طبيعة الشعور الانسانى وجعلنى اشعر شعورا عميقا بالمسئولية » ٠ ومع ذلك لم يجعله الحب يعتقد بقوة المرأة المثقفة ولم يكن داعيا أو مؤيدا لتحرير المرأة »

ثم ٠٠ بدأت قفزة فى الافكار نحو الحب الحر الذى لايتقيد بالزواج فقد كتب « جورج مور » فى « اعترافات شاب » عن

ثورته على طريقة الحياة الزوجية فى البيوت الفيكتوريةونادى بالحب • الحبوليس الزواج •لكن فكرة الحب تبلـــورت فى رواية « المرأة التى فعلت » كتبها « جرانت الين »واثارت الآراء حولها وهوجمت •

« هرمينا بطلة الرواية اصرت على ان تكسب عيشــــها بنفسها • وقررت الا تتزوج وعندما أحبت قالت لحبيبها أن الطبيعة قد وضعت عاطفة الحب فى روحيهما وقد هتفت لهما عندما تقابلا أن كل واحد منهما مخلوق للاخر • فقال لها اذن يا حبيبتى يمكننا ان نتزوج قريبا فصرخت هرمينا غاضبة : لاتقل هــذا • ولاتفكـر اننى يمكن ان اتزوج • اننى اعرف ماذا يعنيه الزواجمن عبودية ورأيت كثيرات من أخواتى النساء يقاسين منه • ووافق البطل بعد تردد على ان يعيش معها فى شقتها • ونهاية الميلودراما انهما انجبا طفلة • ومات البطل بالتيفود • ورفضتهرمينا بعناد نقود والديه •• عملتوعاشت على الكفاف لتربى ابنتها لكن الابنة تنقلب ضدها عندما تكبر وقالت لها الام •• لم اكن انتظر انك ستخجلين من كـــونك ابنة لأول أم حرة فى بريطانيا •• لم تلتفت هرمينا الى المجتمع الذى لم يكن مستعدا بعد لقبول هذا الوضع • وتزوجت الابنة بطريقة تقليدية وانتحرت الأم • »

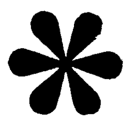
وبعد ظهور الصناعات وانتشار المصانع وظهور الطبقـــة الجديدة العاملة بينت التقارير الصحية والاجتماعية الحيـاة البائسة المقبضة التى يعيشها الســـواد الاعظـم من النـاس ويموتون •• فكيف اذن يجدون الوقت للحب وكيف يجـــد الحب مكانا،وقد اصبحت بعض الفتيات والنساء يزدن دخلهن الضئيل بالدعارة •• وقال أحد مسجلى العقود انه من بين

كل عشرين فتاة فقيرة يعقد قرانهن توجد تسع عشرة «حامل» في ليلة زفافهن .

وفي انجلترا كما في فرنسا وسائر أوربا كانت بداية القرن العشرين حتى الحرب العالمية الاولى امتدادا غير محسوس للقرن التاسع عشر ، ثم ظهرت بوضوح فكرة الحب الحر . وحل الجنس محل الحب في الانتشار وودع الشباب الرومانسية ..



وداعا للرومانسية



كانت بداية القرن العشرين وفترة ما قبل الحرب العالمية الاولى تشوبها الروح الرومانسية ·· وقد عبرت عن هذه الرومانسية الروائية « اليانور جلين » التى كتبت روايات عاطفية طويلة ·· التعبير عن الحب فيها لا يتعدى القبلة ·· وحوادثها تسيطر عليها احلام اليقظة ·· ربما حياتها جعلتها تعيش فى هذه الاحلام ·· فبعد خطوبتها بساعات تركها خطيبها وعاد الى بلدته الريفيــــة ليرعى ديوكه البرية الصغير ·· لكنه جعلها تعيش فى حلم خيالى أثناء شهر العسل فقد استأجر حمام سباحة عموميا لمدة يومين حتى تستطيع «اليانور» أن تسبح وحدها عارية وشعرها الأحمر الطويل وراءها · وبعد هذا الحلم تجاهل الزوج الرومانسيات وعاد الى ديوكه البرية · ولم يجد الحب الرومانسى مكانا الافى خيال « اليانور » على الرغم من أن قراءها ظنوا انهــا تعلم كل شىء عنه وتعيشه · فهل كانت تفكر فى زوجها عندما كتبت فى روايتها « ثلاثة اسابيع » هذه الكلمات ·

« ربما يكون اكثر شيء يثير الحزن ان تجد نفسا أضيئت وتفتحت الى أعلى درجات التفتح ثم تنحدر بالتدريج الى الوراء حتى تصبح مثل معزة آكلة للعشب . أن تصبح أماني الانسان ومباهجه تدور فقط حول السباق والخيول والكلاب .. انه شيء محزن»

ومعان كثيرة وكلمات فى روايتها هذه ظهرت فيها طريقة أحلام اليقظة : غمرتها نشوة محمومة من الملاطفة الحنونة وهمهمت بهرير مثل نمرة . وزحفت مثل ثعبان . لمسته بأطراف أصابعها . قبلت عنقه ويديه وراحتيه .. قبلت جفونه ورأسه قبلات غريبة ليست مثل قبلات النساء .. تهمس بكلمات حب وتمسح على أذنيه وعينيه بشفتيها » .

وقد وصل توزيع روايتها هذه الى أكثر من خمسة ملايين نسخة !

وعندما ظهرت كتابات برنارد شو . وويلز وسومرست موم كانت مثل طلقات مدافع ضد المحرمات ، وأصبح التحدث عن الجنس بطريقة بيولوجية واعتباره قوة الحياة ومحركها . ويقول « شو » على لسان احدى بطلاته :

« انت تقابل آلافا من الناس ولا يحركون شعورك الجنسى وفجأة تلتقط واحدا ويعتريك شعور جنسى ، ولقد غمرنى هذا الشعور فى اللحظة التى وقعت عيناى فيها على دافيد . أنت لاتنكر انه شاب لطيف بالرغم من لغته القبيحة »

وقد كانت كتاباتهم تشير الى الحرية فى الاختيار والاندماج فى عاطفة الحب ..

وكتب ويلز عن الحب الحر :

« توجد طريقة واحدة مناسبة يمكن بها أن يقترب رجل متحضر وامرأة متحضرة من بعضهما البعض . فالرغبة العاطفية

لا تكفى ٠٠ ما يسمى بالحب ليس كافيا ٠ الارتباط وكل هذه الاعتبارات التقليدية أشياء غير مجدية ٠ فالاساس الاول هو الصـــداقة ٠ التفاهم الواضح والثقة المطلقة ٠٠ ومن خلال هذه الشروط فى هذه العلاقة المختارة يجوز الحب وممارسة الحب فى نطاق الزواج أو خارجه » ٠

وعندما جاءت الحرب العالمية الاولى أثبتت المرأة وجودهـــا وقدرتها فى حقول كثيرة ٠ كما اعطى لها حق الانتخاب فى سنة ١٩١٨ وبعدها استطاعت أن تطلب الطلاق بنفس حيثيات الرجل ٠ وأصبحت لها مكانة مختلفة عند الرجل بعد آن عملت ٠ شـعر انها يمكنها الاستغناء عنه اذا هو أتعبها ٠ فيمكنها أن تنفصل عنه وتربى أطفالها من دخلها ٠٠ ولكنها لم تستطع أن تطالب علانية بالحرية الجنسية ٠

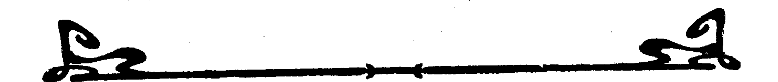
وفى سنة ١٩٢٩ ظهر كتاب عن « الجنس والمدنية » أعتقد مؤلفوه أن الخيانة الزوجية لايصح ان تكون سببا فى الطـــلاق الا اذا كان الطرف الذى فعل الخيانة يفضل الذى فعلها معـه ٠٠ واعتقدوا أيضا أن طلبة وطالبات الجامعة لابد أن يتزوجوا ويحددوا النسل اثناء فترة الدراسة حتى يتحرروا من عقـــدة الجنس التى تؤرقهم وتعطلهم وحتى يتجنبـــوا الامراض التى تسمم تقدم الشباب ٠ وقالوا ان الحب يجب ان يكون مثـــل شجرة جذورها فى اعماق الارض وأغصانها تصل الى السـماء واعتقد برتراند راسل انه لا أمل فى الاصلاح الا اذا مات العجائز ٠٠ ومتوسطو العمر ٠٠ مادامو يعتقدون أن الجنس شرير أو قبيح ٠ وقال أن المتمدينين لايمكن ان يشبعوا غريزتهم الجنسية ويستمتعوا بها بلاحب ٠ فهذه الغريزة لايستمتع بها الرجـــل كلية دون امتزاج العقل مع الجسد فى العلاقة ٠ «والذين لم

يعرفوا سعادة الحب المتبادل والتقارب العميق والصحبة القوية فاتهم أجمل شيء تعطيه الحياة · فمن الحمق ان يضحى الفرد كلية بالحب فى سبيل العمل » ·

ولما جاءت الحرب الثانية بالاظلام التام ·· بالرعب · إنتشرت الزيجات السريعة ·· وجاء الامريكان بنقودهم ·· والفرنسيون بحرياتهم · والعساكر الزنوج ولحظات التوتر والهياج العاطفى ·· وجو العنف · وعدم الرغبة فى انجاب طفل أسود · أو اى طفل باى لون · وكان هذا الجو نواة مشاكل المراهقة التى يعانون منها للان · وفى سنة ١٩٥٦ وجدوا أن من بين خمسين فتاة تكون واحدة لها طفل قبل ان تصل الى السابعة عشرة · ومن بين ثلاث فتيات واحدة تعترف بالعلاقة الجنسية قبل الزواج · وجدوا ان نسبة الحوامل بين الفتيات غير المتزوجات أكبر منها بين المتزوجات · وكان لابد من المواجهة · فكان انشاء مكاتب الارشاد للزواج · وبدأت المحاضرات المنظمة فى المدارس الثانوية عن الجنس · وقال أحد الاطباء ان تعليم الجنس فى السن المبكرة بدون رجوعه الى الحب أو ربطه به يفقده كل معانيه ·· وفى مواجهة الاعداد الكثيرة من الاطفال غير الشرعيين انشئت مستشفيات لعلاج الام غير المتزوجة ·· تضع فيها مولودها وتتركه لهم أو تأخذه حسب امكانياتها · وتقبل الاهل هذا الوضع ·

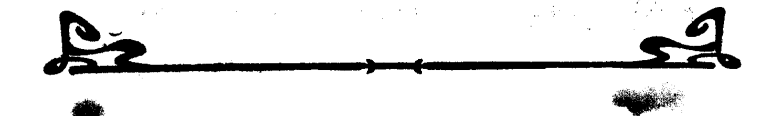
وظهرت كلمة « الولد الصديق » بوى فرند ·· والبنت الصديقة ، وبدأت العلاقات الجنسية بين المراهقين فى سن الخامسة عشرة والرابعة عشرة ·· واجتمع الاطباء والمشرفون الاجتماعيون بمكاتب ارشاد الزواج ·· اجتمعوا بالاباء

والامهات ليساعدوهم فى نصائح المراهقين • لكن قطرات الماء أصبحت نهرا جاريا متدفقا لا تستطيع أن توقفه الجسور القوية •• وأصبحت مشكلات الحب لا تنفصل عن مشكلات الجنس • وللتنوع والتغير فى العلاقات الجنسية انتشر الشذوذ الجنسى عند الجنسين •• حتى سمى عصرنا بالعصر الجنسى •





الحب هذه الأيام



*

في أوائل الستينات قام صحفي وصحفية انجليزيان ٠٠ « شارلز هامبلت »و « جين ديفرسون » بعمل بحث كبير عن الجيل الجديد الذى اطلقوا عليه « جيل مجهول » أو « جيل غير مفهوم » وقد حاولا خلال بحثهما أن يجعلا هذا الجيل معلوما أو مفهوما للقارىء ٠ سأعرض جزءا من افكارهما التى ظهرت فيها بوضوح هذه الفجوة الكبيرة بين هذا الجيل والاجيال الماضية ٠

قال مراهق فى السادسة عشرة :

« سن المراهقة أجمل السنين فى حياة الانسان ٠ أومن بهذا حتى انى لا أريد أن تنتهى أيام مراهقتى ٠ الانسان لا يكون شابا الا مرة واحدة ٠ فلابد له أن يستفيد من هذه الفترة ٠ ويفعل كل شىء يريده ويندمج فى تجارب سيئة أو حسنة ٠ قبل أن يمر الوقت ٠ قبل أن يصل الى هذه السن التى يضطر فيها ان يضع قناع الاحترام على وجهه مثل هؤلاء الذين نراهم فى التليفزيون من وزراء وصحفيين ٠ لا انكر ان كل مراهق يشعر بعقدة ذنب نحو والديه٠ فالاباء دائما على حق ومضحون فى سبيل الابناء ٠ ولكن عندما يكبر الابناء يجدون انهم لا يوافقون على شىء من مبادىء الاباء ، وتصبح الحياة معهم معركة مستمرة ٠ الآباء لايريدون ان يفهموا ان لابنائهم

حياة يعيشونها ٠ وانهم قد عاشوا حيـاتهم ٠ الاباء ينسون دائما ٠ ماذا يعنى سن الشباب ٠ »
وقالت فتاة فى التاسعة عشرة :
« اعيش وحدى فى مدينة ايدنبرج ٠ جئت اليها منذ ثلاث سنوات ٠ بعد علاقة مـع رجل متزوج ٠ لم تستمر طويلا ٠ فعندما وجـد الرجل انى حامل قال بقسوة انه لايريدنى ٠ فتركت مدينتى ٠ وعندما أرسلت لوالدى اخبرهما بماحـدث ارسلا لى بعض النقودوطلبامنى بقسوة الا اعود اليهما ٠حاولت الانتحار وانقذت ٠ اظن اننى سأحاول مرة اخرى ٠ تنقلت فى اعمال كثيرة ٠ وضعت طفلى وتبناه بعض الناس ٠
بعدها تعرفت على رجال كثيرين ٠٠ لم أرد أن تستمر علاقتى بأى رجل ٠ أصبحت افعل أى شيء لاغيظ الرجال ٠
ربما لم اكنعاقلة فتعذبت ٠ ليكن ٠ لينتقم منى المجتمع ٠٠ لكنهم لا يضربوننى بالرصاص ولا يشنقوننى ٠ ففقط يقدمون لى الحبوب المنومة والمخدر ٠ ويتركوننى لاقوم بالانتقـــام من نفسى » ٠

وقد علق شـــاب فى الثامنة عشرة على ســـؤال عن عدم الاطمئنان السائد بين الشباب فقال :
« أنا أعمل ومطمئن فى عملى ٠ بيتى مريح ومطمئن فيه مع والدى ، فليست لدى مشـــكلة معهما ٠ لكنى أشعر بعدم اطمئنان بسبب حالة العالم حولى ٠ فكيف أجد سعادة حقيقية وكل شيء حولى غير حقيقى ٠ ولا تجد أحدا يهتمحقيقة ٠ أخاف من المستقبل ٠ ولا ننتظر من حكامنا شيئا ٠ وأعتقد أن رجل السياسة الحق سيكون من جيلى ٠ لكن عندما أنظـر حـولى لا أجد علامة تبشر بهذا ٠ »
وقال شاب فى الحادية والعشرين :
أكاد أجن عندماأسمع بعضالناس ينادون بعضا بلقب سـ ٠ أنا أدرس الهندســـة واحب البناء ٠ ففيه ترى نتيجـــــة مجهودك ٠ ترى الاشياء تعلو ولا تراها تندثر نتيجة استعمال الذرة والكيمياء فى غيرمحلهما ٠ انهم يتظاهرون بأنهم يستعملون العلم الصالحالبشرية ٠ هذا فقطتظاهر ٠ انهم يريدون خراب العالم ٠

وقال شاب فى الرابعة والعشرين :

« أحب ركوب الموتوسيكل ٠ والسرعة ٠ والمسابقات الخطرة ٠ السياسيون فى بلدنا جعلوا الشبان يندمجون فى المخاطرة والمغامرة والسرعة فى القيادة ٠ لانه لم يعد لدينا ماتناضل من أجله فنقوم بالمغامرة الخطرة ٠ التى تعطينا شعورا بالراحة » ٠

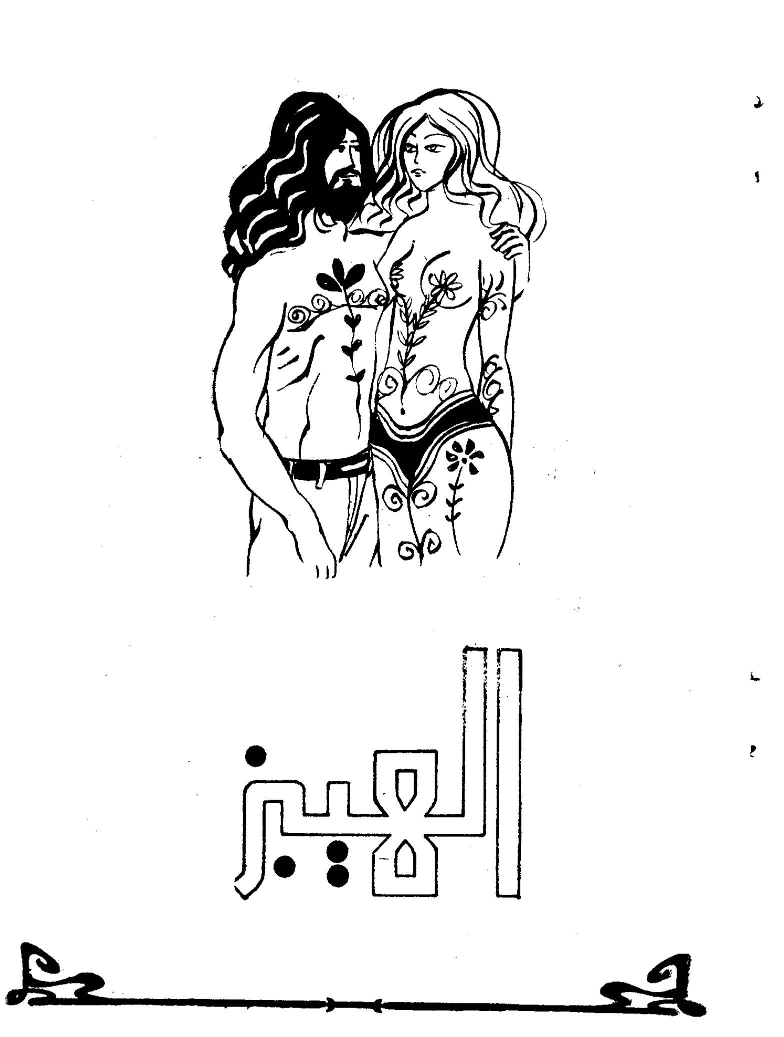
وقلق الشباب فى أى بلد فى العالم يجعلهم غير راضين عن الجو المحيط بهم فيندفعون الى مغامرة الاسفار ٠

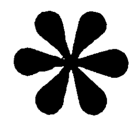
قال شاب فى التاسعة عشرة :

« سافرت كثيرا ٠ وفى كل بلد اعمل فيه لاعيش ٠وجدت الحياة رائعة فى شمال افريقيا واسبانيا وايطاليا ٠ الناس هناك كرماء أنت لا تجوع فى بلادهم ٠ أحب المغامرة واريد ان أعيش بين الحياة والموت٠٠ان اعيش فى خطر حتى اقترب من حقيقة الحياة ٠ لا اريد ان اعيش فى انجلترا فأنا اشعر بأسف لهؤلاء الذين يعملون من التاسعة صباحا الى الخامسة مساء فى هذا الجو القاتم البارد ٠ لابد انهم مجانين ٠ والداى يريدان أن أستقر فى عمل دائم واعيش نفس حياتهما الكئيبة ٠ حبى للمخاطرة يجعلنى احيانا افتعل مشاجرة مع من يفوقنى فى القوة ٠ اعتقد اننى سأموت مقتولا فى احدى مغامراتى ٠ لكن هذا لايزعجنى ٠ فأنا أفضل ان أعيش حياة قصيرة على ان اعيش فى انجلترا ٠ »

مشكلة الحب لم تعد مشكلة هذا الجيل ٠ من ناحية لم يعد هذا الغموض الذى كان يلف الفتاة فى العصور الماضية مصدرا للخيال والرومانسية ٠ لقد ودعوا الرومانسية بالجنس ٠ ومن ناحية اخرى أصبح الشباب واعين بالعالم حولهم وباضطرابه وتهديدات الحرب وان كان معظم شباب هذا الجيل لم يقاس من آثار الحرب العالمية الثانية الا انهم سمعوا عنها ٠ ولا يريدون ان يعيشوا نفس الظروف ٠ وظهرت فلسفة جديدة للشباب شعارها ضد الحرب ٠




العين



وظهرت جماعة « الهيبيز » • وانتشرت فى امريكا وأوربا حتى اصبحت مجموعات هائلة من الشباب ، تتطلع اليهم عيون العالم على انهم جماعة من المجاذيب يطلقون شعورهم ويدمنون المخدرات ويغرقون فى الجنس •

لكن هؤلاء الشباب ليسوا مجرد جيل منحل يبحث عن المخدرات والجنس إنما هم يميلون فى الغالب الى الطرق الصوفية التى تريد تحرير العقل • ويرى البعض ان ممارستهم للجنس يراد بها الصفاء الابدى أو هم يلغون الحواس من خلال الحواس نفسها • هؤلاء الشباب يبحثون عن عبادة جديدة اسمها دين الحب • وليس الحب بمعنى الجنس فقط • بل هو الحب الذى يشمل كل شيء •• الحب الذى يمكن ان يسود العالم •• ويعيش الناس فى سلام • هم جماعة ينادون بالسلام • يبغضون الحرب • واذا كان معظمهم لم يعايش الحرب العالمية الاخيرة فقد سمع عنها وعن نتائجها • ويعتقدون ان نشاط الانسان وحيويته لابد ان تكون للمتعة وليست للحرب • وشعارهم « اعمل الحب • ولا تعمل الحرب » • هؤلاء الشباب ضاقوا من زيف الحياة والمجتمعات التى يعيشون فيها • ورفضوا أى قيود اجتماعية • هم جيل يريد العودة الى الطبيعة •

و «الهيبى» تحولت الى حركة عالمية فى امريكا ودول أوربا الغربية وبعض البلاد الاسيوية • والغالبية من طلبة وطالبات الجامعات والمدارس • ومنهم المثقفون ومنهم ايضاً من وصل الى سن الاربعين وربما تجاوز الاربعين • ومعظمهم من هواة الفن والفنانين واكثرهم يعزف على آلة ويغنى •

يقولون ان الحب يمكن ان يوجه للكل وليس لموضوع واحد • فقد الغوا تماما الحب المتعارف عليه بين « الرجل والمرأة » • ويقولون ان ممارسة الجنس تحتاج الى صدق وأمانة • وهم يعتقدون انهم مخلصون وامناء فى ممارسة الجنس • بل يبدو أنهم يريدون ان يقولوا للناس فى العالم كله « انتم جبناء خائفون لانكم تعيشون فى زيف المجتمعات وقيودها التقليدية » •

وتدل الابحاث على أن الغالبية العظمى من الهيبيز نشأوا فى الطبقة المتوسطة وقد هجروا الراحة والطمأنينة ليعيشوا فى الفقر • حتى ان حياة الهيبيز تعتبر نوعا من التعذيب النفسى « الماسوشيزم » • فهم يرتدون ملابس الفقراء ويعيشون حياتهم أو يحيطون انفسهم بجو الفقر حتى يعذبوا انفسهم • لكنهم اختاروا هذا الطريق بمحض ارادتهم • وفى هذا شىء من الصوفية •

ويبدو من فلسفة الهيبيز انهم يرجعون الى نظرية ربط الفقر بالنشاط الجنسى فى الاخصاب • فيعتقدون انهم بكونهم فقراء يلقون ستارا على ما يحيط بهم ويصبحون احرارا جنسيا • لكن شكل الجنس عند الهيبيز ليس هو الحب الحر الذى عرف من قبل وهو الحب الكامل الذى ينشأ بين اثنين دون ان يتقيد بالزواج • فصورة الجنس بين الهيبيز تعتبر غريبة على العالم اليوم • وتعود غرابتها الى قدرتهم على مشاركة الاخرين دون شعور بالغيرة • فهم يشاركون فى الجنس كما يشاركون فى ممتلكاتهم وطعامهم ويعتبرونه شيئا جماعيا للمتعة بعيدا عن عناصر الخوف وعدم الثقة المعروفة فى العالم • فالغيرة عاطفة من العواطف التى الغوها تماما لانها نوع من

الامتلاك وهم لايملكون شيئا ولا يحرصــون عــلى شى ســوى الحياة • وربما تعكس صورة الجنس هذه شعورا بعدم الثقة فى المستقبل وشعورا قويا باللحظة الحاضرة •

وقد عبر عن أفكار الهيبيز كاتب ومخرج سينمائى امريكى « ريك بيك ميار » الذى ركز أعمالــه على الهيبيز فى المدن الكبيرة • وهوفى السابعة والثلاثين •• وبالرغممن انهبعيد عن حياة الفقر الا انه يعتبر نفسه « هيبى » •

قال « حركة الهيبيز تؤكد اتساع الفجوة بين الاجيال • واذا كنا لانعرف كل الاسباب فاننا فى طريقنا الى معرفة الخطأ الذى جعل الشباب يتخذون هذه الصورة • ولا يمكن ان نغفل تهديدات الحرب والقنبلة • التى اثرت على افكار الجيل الجديد وضميره • لقد اختار الهيبيز ان يكونوا فقراء • واختــاروا أيضا ان يكونوا اكثر نشاطا من آبائهم فى الجنس • ووجدوا ان الحب والارتباطات العاطفية ليست ضرورية لممارســته • فممارستهم له تتم بلا ادعاء أو تظاهر • شيء يحدث من تلقاء نفسه ، فالشاب والفتاة يمارسان الحب دون أى رباط عاطفى الا فى الفترة التى يمارسانه فيها • لكن أليس هــذا اكثر صدقا وأمانة بل واثارة مما كــان عليـه آباء هؤلاء المحبين التلقائيين • الذين يعيشون أعواما طويلة يكره كل منهماالاخر ويريد ان يمارس الحب مع غير شريكه ولا يفعل خوفا والتزاما باخلاقيات الطبقة المتوسطة الجوفاء • واعتقد انه عندما يسجل تاريخ شباب هذا الجيل من الهيبيز سيكون فى الافلام • وهم يصنعونها فعلا • هذه الافلام تعرض حاليــا فى اماكن تحت الارض • لكن بعد ذلك ستكون سجلا لتاريخ الشباب الذى سيؤثر على المستقبل »

وكل مجموعة من الهيبيز تطلق على نفسها قبيلة • وبهذا الاسم يرمزون ايضا الى عودتهم الى المجتمع الانسانى الاول•• الى الطبيعة •

قالت فتــاة فى التاســعة عشرة أمريكية تعيش فى قبيلة فى كاليفورنيا :«ممارسة الحب بين الهيبيز تبدو أكثر أثارة•

لانك تمارسه مع اشخاص مختلفين وبطرق مختلفة · اننا لانسأم بعضنا بعضا ولا نهتم بما يقال عنا أننا شواذ اومجانين جنسيا · اننا فقط نحب ونمارس الحب · ومعظم الفتيات يأخذون حبوب منع الحمل ·· اننا ننفق اكثر نقودنا عليها لاننا لانريد ان ننجب اطفالا فى هذا العالم المتعفن ·· فهذا المجتمع مريض ولا نريد ان نضيف اليه اعدادا أخرى · حتى بدون الحبوب يمكننا ممارسة الجنس بلا خوف · لذلك انتشر الشذوذ الجنسى بيننا · واذا حدث وولد طفل فى قبيلة فهو محبوب من الجميع وأسعد من فيها لان كل فرد يعتنى به ويكون ابن القبيلة كلها · وبيننا زنوج · فنحن ضد التفرقة العنصرية »

وفى امريكا اذا اتهم أحد الهيبيز بسوء الخلق بسبب شيوعية الجنس يدافعون عن أنفسهم بالاشارة الى الاشياء التى تستحق الاصلاح الخلقى فى المجتمع · فيشيرون الى الفوضى فى الحكومة · الى حرب فيتنام غير الاخلاقية · الى العنف فى المدن ·· الى نوادى الطبقة الراقية · يشيرون الىالفسادالكثير فى مجتمعهم ·

وأهم اعداء الهيبيز هىالامراض التناسلية والتهابات الكبد· فاذا مرض واحد من قبيلة بمرض تناسلى تذهب القبيلة كلها الى احدى العيادات الشعبية للعلاج حتى لاينتشر المرض بينهم·

وقال الكاتب الامريكى « ارسكين كولدويل » بعد مناقشاته مع جماعات من الهيبيز ان كثيرا منهم يتبعون ديانات الهنود الشرقيين واحيانا يرتدون ملابسهم « السارى » وربما كان ما يبحثون عنه هو الشىء المميز القديم لمجتمع بدائى · والفرق بينهم وبين الهنود الشرقيين ان الهيبيز يحددون النسل بينما الهند بها تضخم فى السكان ·

ولعل ابلغ شىء يمكن ان يعطينا فكرة عن الهيبيز هى مسرحية « الشعر » التى عرضت فى لندن فى موسم ٦٨ ــ ٦٩ وهى من مجموعة ممثلين من شباب الهيبيز الامريكان ·

والمسرحية ليست حدثا ٠ انها مجموعـة من الاغانى الفردية والاناشيد الجماعية ورقصات باليه تصور حياة الهيبيز وتعبر
عن احزانهم تجاه العالم اليوم واحلامهم بجنة على الارض ٠٠ ومن الاغانى أغنية الشعر « هير» التى سميت باسمها المسرحيـــة
ومعانيها البسيطة تحمل رمز العودة الى الطبيعة ٠

اعطنى رأسا عليها شعر
شعر طويل جميل
مضيء
يرفرف
أشقر
غزير
ناعم
اعطنى شعرا ينسدل
طويلا حتى كتفى
هنا حبيبتى
وهناك أمى
وابى فى كل مكان
الشعر ٠ الشعر ٠ الشعر
اجعله يرفرف
اظهره للناس
طويلا بقدر ما يسخو به الله
آه يا شعرى ٠

وفى المسرحية يسخرون من الساســـة والحرب ويريدون الحب · ولينسوا شرور العالم يتعاطون المخدرات · والهيبى لايهتم ان يكون له عمل بل الاغلبية اصبحت ترفض أى عمل منتظم ويكسبون عيشهم من حفـــلات الموسيقى والغنـــاء والتمثيل · ويقومون بصناعات جلدية بدائية يبيعونهـــا · وفى اعتقادهم ان اهم شىء يملكه الانسان هو الحياة · وفى مسرحية الشعر يعبر الهيبى بأغنية عن هذا الشىء المهم الذى يمتلكه · فيقول « انا املك شعرى · واملك أذنى · اناأملك عينى» ويعدد المغنى كل عضو من اعضاء جسده ويقول انـه سعيد بامتلاكه كل هذه الاشياء لان رصاصة من فيتنام لـــم تصبه ولم تسلبه الشىء الحقيقى الذى يملكه · وفى نهـــاية الاغنيه يقول : « انا املك الحياة · الحياة الحياة · انا املك الحياة » فالشعور بملكية الحياة بهـذا الاكتفاء الـــذاتى يمكن ان يجعل الفقير يشعر بالزهو على الغنى · والمسرحية تصور مأساة جيل ونفوره من الحضارة الزائفة والعقول التى تصنع الحروب ·

ولانهم ينادون بالسلام والحب فمؤتمراتهم لا تقع فيها حادثة من حوادث العنف · والبوليس لايجد ما يدعوه للتدخـل الا لحمايتهم··وهميحبونالبوليس وأحيانا يكتبون لافتاتلتحيته « البوليس رائـع » ·· وضم مؤتمرهم الأول الـذى عقد فى جـزيرة « وايت » الانجليزية مائتى ألف جـاءوا من امريكـا والمانيا الغربية وانجلترا وفرنسا وهولندا · كانوا يحتفلون بذكرى مثلهم الاعلى «بوب ديلان » فى المنطقة التى توفى فيها· وهو من مواليد امريكا فى عام ١٩٤١ ويعتبره الهيبيز رائدهم لانه كان أول صبى يعتنق هذه الفلسفة ويدعو اليها ·

الى اين سيذهب الهيبيز بفلسفتهم ؟

اذا كانت ثورتهم ايجابية فربما يحدثون شيئا حقيقيا فى المستقبل · لكن المخدرات التى يحرصون على تعاطيها بفكرة الابتعاد عن العالم ورفضه بصورته الحالية ربما تجعل منهم جيلا مريضا لايمكن ان يصنع شيئا للمســتقبل · حتى ان

بعض المتشائمين يقولون ان هذه الحركة هى نهاية العالم ٠ والهيبيز يقولون انها بالعكس ٠ اما المتفائلون ومنهم المؤرخ الكبير « ارنولد توينبى » فيقولون ان هذه بداية عالم جديد ٠ وكل بداية تصاحبها حالة من الهلوسة والسـلبية لكنهم سيتحولون بالتدريج الى شىء ايجابى منظم ٠

لقد غير جيل الهيبيز مفهوم الحب المتعارف عليه ٠ وأصبح الحب بين الرجل والمرأة فقط هذه اللحظات التى يمارسـانه فيها ٠ فهل سيثور الجيل القادم على هذا الجيـل ويعود الى الرومانسية ويعيد العواطف التى ادار لها هذا الجيل ظهره أم انه سيكمل الطريق ويصبح الحب بين الرجل والمرأة شيئا من ذكريات التاريخ !

على أى حال فكل جيل له مفهومه الخاص عن الحب ٠ وكل شخص له مفهومه الخاص عن الحب ٠ ومهما قلنا عـن مفهومه واجتهدنا فى تعريفه فسننتهى الى حقيقة استحالة تفسيره ٠

انتهت الدراسة



مراجع عربية

مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة

تأليف : أدولف ارمان وهرمان رانكة

ترجمة : د ٠ عبد المنعم أبو بكر

جميل بثينة

عباس محمود العقاد

مشكلة الحب

د ٠ زكريا ابراهيم

قصة الحب الخالد (عفراء)

فايد العمروسى

نماذج بشرية

د ٠ محمد مندور

دراسات فى الحب

يوسف الشارونى

مراجع أجنبية

Every day life in Egypt
In The days of Ramesses The Great.
By
Pierr montet. Translated By
A. R. Maxwell — Hyslop
and
Margaret S. Drower.

Olympia — A monthly review From Paris.

Love and the English
Love and the French
Love and the Spanish
By
Nina Epton

Generation X
By
Charles Hamblett
and
Jane Deverson
«English Journalists»

Sex and Love «Among the poor»
A Study By
Ruesell Trainer.
chapter 10. The Voluntarry poor
The Beat of Hippie Sex.

روزاليوسف

مؤسسة روز اليوسف

الكتاب الذهبى

رئيسا التحرير :

مصطفى محمود - جمال كامل

لجنة الكتاب :

جمال كامل - لويس جريس

الاعلانات والاشتراكات :

يتفق عليها مع الادارة

٨٩ (أ) شارع القصر العينى

تليفون - ٢٠٨٨٨ - ٢٠٨٨٧

تلغرافيا - روزاليوسف - ج . ع . م